

**بناء قوة الدولة فى التصور الإسلامى :**  
**رؤية تنظيرية مقارنة**

**إعداد**

**د. على بن حسين القحطانى**  
أستاذ العلوم السياسية المساعد  
قسم العلوم السياسية – جامعة الملك سعود - الرياض

## ■ مقدمة:

إن التأمل في التاريخ البشري وفي مسيرة المجتمعات عبر العصور المختلفة يكشف للمتأمل أن هناك عاملاً محورياً يكاد يكون هو المحرك الوحيد للتاريخ البشري وإن اختلفت أشكاله وملامحه لأسباب عديدة وهذا العامل هو "القوة" في مختلف أشكالها. ويُعرف الكثير من المعاصرين أمثال ماكس فيبر، و ريموند آرون، و جورج فيدل، و جورج بوردو، و موريس دوفيرجيه، علم الاجتماع السياسي على أنه علم القوة.<sup>١</sup> كما أنه بالرغم "من اختلاف تعريف علماء السياسة لعلمهم، إلا أنهم يشاركون سلفهم من الواقعيين في أن علم السياسة يدور حول مجموعة من علاقات القوى، وذلك باعتبار أن القوة هي صلبه الثابت عبر تغير سياقه الاجتماعي والثقافي والحضاري، فهي وحدها الجديرة بأن تكون مركز الاهتمام... كعلم... يهتم بعلاقات القوة، بقصد تفسيرها".<sup>٢</sup> وهذا يؤكد على أهمية دراسة علاقات القوة داخل الدولة وخارجها بما يشمل علاقات القوة في إطارها الدولي، مع أنه ينبغي لنا ملاحظة الارتباط الوثيق بين القوة في الداخل والخارج وقد يكون من الصعب جداً أن يكون هناك دولة ضعيفة داخلياً وقوية خارجياً خاصة على المدى الطويل، لذا قد يكون من المناسب عند دراسة قوة أي دولة هو التركيز على المتغيرات الداخلية التي قد تزيد أو تضعف قوة الدولة، ومن ثم النظر إلى المتغيرات الخارجية ودورها في تنامي أو ضعف قوة الدولة.

يبين التاريخ أن القوة في المجتمعات الإنسانية وحتى في مجتمع الحيوان تُعطي لمن يمتلكها امتيازات مثل الشرف والهيبة واللذة، ويُحرم الضعيف في هذه المجتمعات من هذه الامتيازات، وبالتالي يحتدم الصراع داخل هذه المجتمعات على امتلاك القوة. ومن هذه الصراعات ما يكون فردياً ومنها ما يكون بين مجموعات مختلفة داخل المجتمع الواحد ومن الأمثلة على ذلك الصراع بين من يمتلكون القوة وبين المواطنين أو بين المحكومين والحاكمين. وتمارس القوة دائماً لصالح الأقوى في المجتمع سواء كانت عائلة، أو جماعة، أو طبقة، والصراع ضد هذه القوة تنزعه مجموعات أخرى سواء كانت عائلات أو طبقات أخرى تريد أن تشارك في اقتسام كعكة القوة. إن الصراع على امتلاك القوة بدأ منذ قيام الجماعات البشرية الأولى ولذلك نجد في التاريخ المصري القديم قيام الملك "مينا" بتوحيد الوجه البحري والوجه القبلي وتنصيب نفسه ملكاً على الوجهين. وقد اعتمدت الإمبراطورية المصرية القديمة على ثلاث قوى هي: قوة الملك، وقوة رجال الدين، وقوة الجيش. وإذا كان الضبط الاجتماعي بمفهوم علم الاجتماع المعاصر يعني "القوة الاجتماعية الملزمة للفرد داخل المجتمع"، فإن قدماء المصريين قد تعرضوا لمثل هذا

المفهوم من خلال إيمانهم بأن الإنسان سواء كان حاكماً أو محكوماً سوف يحاسب بعد مماته على كافة الأعمال السيئة التي اقترفها في الدنيا، وقد مثل ذلك عملية ضبط لسلوكيات المجتمع المصري القديم مما زاد من قوة الكهنة في ذلك المجتمع القديم إلى أن جاء "إخناتون" بثورته الدينية وعقيدة "آتون" والتي أحلت طبقة جديدة من الكهنة لتمثل قوة جديدة.<sup>٢</sup> ونلاحظ في هذين المثالين من مصر القديمة ممارسات القوة من خلال القوة العسكرية والقوة الدينية.

وفي سياق القوة الدينية تبرز سيرة النبي (ص) ومالها من أهمية كبرى في معرفة الكيفية التي تم بواسطتها بناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي كما أن هذه السيرة تقود الإنسان المسلم إلى معرفة عوامل النهوض والسقوط في بناء الدول والمجتمعات.<sup>٤</sup> ومما يعزز أهمية البحث في القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي عن أسباب القوة والضعف ما نراه من ظهور :

الكثير من المتحدثين باسم الإسلام وهم بعيدون كل البعد عن القرآن الكريم والهدي النبوي، وسيرة الخلفاء الراشدين، وأدخلوا في خطابهم مصطلحات جديدة ومفاهيم مائعة نتيجة الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية وأصبحوا يتلاعبون بالألفاظ ويلوونها... ويكتبون الكتب في فلسفة الحياة والكون والإنسان ومناهج التغيير ولا نكاد نلمس في حديثهم أو نلاحظ في مقالاتهم عمقاً في فهم فقه التمكين، وسنن الله في تغيير الشعوب وبناء الدول من خلال القرآن الكريم والمنهاج النبوي... بل يستدلون ببعض الساسة أو المفكرين والمثقفين من الشرق والغرب ممن هم أبعد الناس عن الوحي السماوي والمنهج الرباني وأنا لست ممن يعارض الاستفادة من تجارب الشعوب... ولكنني ضد الذين يجهلون أو يتجاهلون المنهاج الرباني، وينسون ذاكرة الأمة التاريخية.<sup>٥</sup>

## ■ مشكلة الدراسة:

وما سبق هو في الحقيقة أحد الأسباب التي دفعتني إلى البحث في الكتاب والسنة النبوية الشريفة في الأسباب أو المتغيرات التي أدت بمجموعة من القبائل العربية بعد الإسلام وتكوين الدولة في المدينة النبوية إلى أن تصبح الدولة الأقوى في المنطقة والتي استطاعت أن تهزم الدولتين العظميين في ذلك الوقت فارس والروم. يضاف إلى ذلك أن الباحث المسلم العربي عندما يقرأ في السياسة الدولية أو في السياسة المقارنة يرى أن الأساس الذي تستند عليه أغلب النظريات في هذين الحقلين إن لم يكن كلها هو التجربة الغربية والتاريخ الأوروبي وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى. وهنا يثور التساؤل لدى الباحث المسلم المتخصص في حقل السياسة ماذا عن التجربة الإسلامية منذ نشأتها إلى أن سقطت الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى. هل هناك متغيرات في التجربة الإسلامية النبوية أدت إلى قوة الدولة في الداخل والخارج؟ وهل هناك متغيرات أدت إلى ضعفها؟

منذ أربعة عقود وتزايدت حاولت العديد من دول العالم الثالث أو النامي بما فيها الدول العربية تحقيق التنمية أو التطوير لمجتمعاتها واللاحق بمصاف الدول المتقدمة متبعة في ذلك المناهج الغربية سواء اشتراكية أو ليبرالية إلا أن حصاد هذه المناهج والسياسات كانت مرة وزادت من تبعية ومعاناة وتدهور الشعوب العربية في شتى المجالات. ومن هنا تثار العديد من التساؤلات: ما هي الأسباب في هذا الفشل؟ لماذا نجحت هذه النظريات في أوروبا وأمريكا وفشلت في العالم العربي؟ وهل بالإمكان أن تسلك الدول العربية والإسلامية طرقاً أخرى غير الطريق الأوروبي الغربي في تحقيق النمو والتقدم؟<sup>١</sup> وهذه الإشكاليات التي يطرحها نصر عارف تتفق في كثير من جوانبها وإسقاطاتها مع موضوع دراستي هذه وإن يكن ذلك من زاوية مختلفة، وأزعم أن طرحي في هذه الدراسة أكثر دقة ووضوحاً في تحديد المتغيرات التي من الممكن وبناء على تجربة العهد النبوي الشريف أن تقدم بديلاً أصيلاً في تحقيق القوة والنماء لمجتمعاتنا العربية والإسلامية.

وفي هذا السياق ومع النقاش والجدل الدائر بين النظريات الغربية في العديد من الحقول مثل: حقل العلاقات الدولية، وحقل السياسة المقارنة، وحقل الاقتصاد، وحقل الاجتماع وغيرها من الحقول حول أهم المتغيرات التي يمكن لها أن تفسر تنامي قوة دولة ما على الصعيد الداخلي والدولي، يصبح السؤال ملحاً وبالأخص في هذه المرحلة التاريخية حول أهم المتغيرات التي يمكن

استقراءها من التجربة الإسلامية في العهد النبوي والتي أدت إلى تنامي قوة الدولة الإسلامية في ذلك العصر وما تلاه. هل يوجد في نصوص القرآن والسنة الصحيحة ما يشير إلى أهم المتغيرات التي ينبغي مراعاتها والتركيز عليها من أجل زيادة قوة الدولة في الداخل والخارج؟ هل نستطيع استقراء بعض المتغيرات الهامة في تنامي قوة الدولة الإسلامية أو ضعفها منذ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وإلى وفاته (ص)؟ وفي ثنايا هذا الاستقراء أو البحث عن نظرية إسلامية لبناء قوة الدولة ما هي إمكانيات عقد مقارنة بين النظرية الإسلامية والنظريات الغربية مما يُمكننا من ملاحظة نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف في هذا السياق؟

### ■ هدف الدراسة:

لقد استفاد الغرب من التجربة العلمية الإسلامية بما فيهم روجر بيكون والذي عول على الكتابات العربية في استحداث المنهج التجريبي، وهذا المنهج التجريبي أحد أهم الأسباب في بلوغ العالم الغربي مستويات متقدمة في العلم الحديث<sup>٦</sup>. والباحث في هذه الدراسة يرى أن المسلمين والعرب ابتعدوا كثيراً في دراستهم لتاريخهم وحضارتهم عن البعد التنظيري ومحاولة الخروج بنظريات ومتغيرات تستطيع أن تشرح أسباب الضعف والقوة في هذا التاريخ. لذلك تجد الكثير من الدراسات السردية والوصفية والوعظية لجوانب مختلفة من السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ولكن بدون الخروج بنظرية محددة تستطيع أن تطرح المتغيرات الكبرى في هذه التجربة أو تلك. وللأسف تجد بعض الكتاب يطرح مجموعة من الأفكار والفلسفات للكثير من المفكرين الإسلاميين أو الفرق الإسلامية تحت مسمى نظريات سياسية إسلامية، مع أنها لا تمت إلى النظرية التجريبية بصلة، وقد يكون من الخطأ إعطائها مسمى النظرية. ويضيف العمري في هذا السياق كلاماً هاماً للغاية حيث يقول:

وإذا كان النقد التاريخي يبدو ضعيفاً في دراساتنا، فإن التحليل للروايات والتعامل معها يبدو أكثر قصوراً، بسبب النظرة التجزئية للقضايا والسطحية في التعامل مع الروايات وعدم وضوح التصور الإسلامي لحركة التاريخ ودور الفرد والجماعة والعلاقة الجدلية بين القدر والحرية وقانون السببية والربط بين المقدمات والنتائج. فضلاً على أن الكتب التاريخية القديمة لا تمدنا بمنحى واضح في التحليل والتصور الكلي بسبب اعتمادها على سرد الروايات فقط، إذ قلما يشير المؤرخ الإسلامي القديم للسنن والنواميس والقوانين الاجتماعية التي تحكم حركة التاريخ رغم أن القرآن الكريم لفت نظر المسلمين إلى ذلك

كله بوضوح.<sup>٨</sup>

إن السيرة النبوية " قد تناولها الباحثون من الناحية التاريخية، فدرسوها دراسة دقيقة، ليس بعدها زيادة لمستزيد، ولكنها لم تدرس تحليلياً الدراسة الكافية"<sup>٩</sup>. ثم إن كتب السيرة تملأ المكتبة الإسلامية فما الفائدة من التكرار إذا لم نأتي بجديد كما أن هناك خطوط أساسية كلية لا بد من إدراكها لفهم السنة في واقعها العملي ومراحلها المختلفة. وسيرة النبي (ص) تجربة غنية بأحداثها ودلالاتها ولا يستطيع أي باحث أن يوفيهما حقهما من البحث والتحليل إلا من خلال النظر إليها نظرة شمولية تحليلية دقيقة تجمع شتاتها في رؤية متكاملة لهذه التجربة الفريدة في كافة جوانبها الحركية والسياسية والعسكرية والشخصية والفقهية.<sup>١٠</sup> والباحث في هذه الدراسة يرى أن كتب السيرة النبوية كثيرة جداً، ولكنها مكررة بحيث لا تكاد في بعض الأحيان أن تجد اختلافاً إلا من حيث الاختصار أو الإطالة. ويغلب على هذه الدراسات السرد التاريخي لأحداث السيرة والبعض يشير إلى بعض الأحكام والفوائد والعظات المستنبطة، وقلما تجد كتابات تنظيرية تركز إلى سيرة النبي (ص). فلا تجد في هذه الدراسات البحث عن متغيرات كلية أو مستقلة أو لنقل أسباب أدت إلى نتيجة معينة، وبالتالي الخروج من هذه السيرة بنظرية تربط بين أجزاء متفرقة بصورة تعطينا المقدرة - وإن لم تكن كاملة - على تفسير المرحلة النبوية وما تلاها من مراحل الدولة الإسلامية، وكذلك القدرة على تفسير المرحلة التي نعيشها اليوم. وهذا ما فعله المتخصصون الغربيون في الدراسات الإنسانية وخاصة السياسية والاجتماعية منها، فقد درسوا التاريخ الأوروبي وخاصة ما قبل الحرب العالمية الأولى وما بعدها، وأثاروا التساؤلات حول هذا التاريخ وخاصة لماذا؟ وذلك من أجل الوصول إلى المتغيرات الأساسية التي تستطيع أن تجيب على هذه التساؤلات، وبالتالي بناء نظرية تقوم على متغيرات كلية نستطيع من خلال التركيز عليها أن نفسر ونعلل وفي بعض الأحيان أن نتنبأ. ثم إن التجربة النبوية لها قيمة خاصة فريدة لا توجد في التجارب الأخرى، وهذا ما يشير إليه الغضبان بقوله "ونعتقد أن هذا المنهج الحركي هو رباني التوجيه، فأنه تعالى يسدد نبيه في خطواته كلها. وليس هو وليد رد الفعل من الظروف الطارئة التي تواجهه".<sup>١١</sup> وبالتالي فإن التنظير استناداً إلى التجربة النبوية له من المصداقية والصحة إذا كان سليماً مالا يمكن لغيره حيث أن هذه التجربة مؤيدة بوحى الله عز وجل. ولكن هذا لا ينفي كما يرى النشيواتي عن التجربة بشريتها فالمسلم والكافر تجري عليه السنة الكونية من لزوم الأخذ بالأسباب الدنيوية من أجل تحقيق النتائج المرجوة. فمن زرع حصداً، ومن لم يزرع لم يحصد، ومن أكل عاش ومن امتنع عن الأكل لم يعيش، هذه هي السنة الكونية التي لا محابة فيها لأحد سواء كان مسلماً أو كافراً، صالحاً

أو طالحاً.<sup>١٢</sup> إن النبي (ص) عندما بنى دولة الإسلام لم يكن رجلاً حالماً أو عالماً بالغيب، ولكنه كان رجلاً مدركاً لواقعه ومرارته وبأن عليه أن يبذل كافة الأسباب ليحصل على النتائج المرجوة. كما أن النبي (ص) "ما فكر قط ولا فكر أحد من صحابته أن السماء تسعى له حيث يقعد، أو تنشط له حيث يكسل، أو تحتاط له حيث يفرط. ولم تكن خوارق العادات ونواقض الأسباب والمسببات أساساً ولا طلاء في بناء رجل عظيم أو أمة عظيمة". ولذلك لم يجمال الله عز وجل نبيه (ص) وصحبه الكرام عند أدائهم لصلاة الخوف بل أمرهم أن يصلوا ويأخذوا حذرهم من عدوهم وأن لا يتوقعوا بأن الملائكة سوف تنزل لعونهم، فإن لم يساعدوا أنفسهم فلن يساعدهم أحد.<sup>١٣</sup>

والباحث في هذه الدراسة يهدف من خلال دراسته للسيرة النبوية بأن يخرج بنظرية تفسيرية ومحددة المتغيرات لفهم عملية بناء قوة الدولة الإسلامية في التجربة النبوية، مع أنه لابد من الاعتراف بأن عملية بناء نظرية تفسيرية لبناء قوة الدولة الإسلامية هي عملية صعبة وقد تكون كذلك غريبة أو جديدة لمجموعة من الباحثين في الحقل.

### ■ منهجية الدراسة:

إن من أهم المسلمات المعرفية الإسلامية (ابستمولوجيا الإسلام) أن العلم ليس له نهاية محددة، بل هو عملية مستمرة من البحث في الظواهر الاجتماعية والكونية وهذه العملية مستمرة باستمرار العقل الإنساني مع إدراك تغير عناصر العملية العلمية وتجديدها وتحولها. ثم إن العقل الإنساني لا يستطيع إدراك كل شيء في هذا الكون وفهمه، فخلق الله عز وجل أكبر من خلق الناس "والحصر مجهول والوجود أوسع نطاق من ذلك (والله من ورائهم محيط) [البروج: ٢٠] ومن هناك فإن الحسم في الظواهر الاجتماعية غير وارد ولا يمكن تقبله عقلاً ومنطقاً".<sup>١٤</sup>

إن دراسة حالة معينة (Case Study) أو فترة تاريخية معينة ليس الهدف منه إجابة أسئلة مثل كم المقدار؟ أو كم العدد؟، ولكن الفائدة من دراسة الحالة هي الإجابة على الأسئلة: كيف؟ ولماذا؟ ومن الطرق العلمية في دراسة الحالة هو ما يعرف بالبحث التأويلي أو التفسيري (Interpretive Research) والذي يقوم على أن الواقع تم بناؤه أو تكوينه من خلال المجتمع (The Reality is Socially Constructed) والباحث يصبح المحرك الذي عن طريقه نكتشف هذا الواقع. ومن وجهة نظر ايجابية أو وضعية (Positivist Perspective) يمكن التأكيد على فائدة وإمكانية بناء النظرية استناداً إلى دراسة حالة معينة، وفي هذه الحالة تكون النظرية أكثر ارتباطاً بالواقع. ثم إن النظرية التي يبنها الباحث والتي يمكن تسميتها

(Grounded Theory) لا تعني أن الباحث عندما يرغب في دراسة حالة معينة من أجل بناء نظرية عليه أن يتخلى من كل معارفه وخبراته السابقة، بل الأفضل أن يكون ملماً بكل الأدبيات والأبحاث المتعلقة بدراسته وأن يكون ذهنه منفتحاً ومتقبلاً لكل شيء قد يفيد في بناء نظرية جيدة.<sup>١٥</sup>

لقد ازداد الاهتمام مؤخراً بدراسة التاريخ والحالات التاريخية المختلفة من أجل الخروج بنظريات تفسيرية تستند إلى منهج دراسة الحالة وذلك في تخصصات مثل العلوم السياسية، وعلم الاجتماع، وحتى علم الاقتصاد. ثم إن التطور في فلسفة العلم وخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة قد عزز من مكانة منهج دراسة الحالة في الحقل العلمي، وخاصة الفلسفة العلمية الواقعية والتي تؤكد على أهمية العلاقات السببية وتداخلها في تفسير الظاهرة محل الدراسة.<sup>١٦</sup>

إن دراسة الحالات التاريخية بطريقة منظمة ومركزة وباستخدام المنهج الاستقرائي التحليلي (analytic induction) وليس الاستقرائي الأمبيرقي يؤدي إلى بناء نظرية تحاول أن تفسر الحالة بطريقة تصنيفية تحليلية تحتوي على متغيرات عديدة تستطيع أن تتوافق وتلاءم التعقيد الموجود في دراسة الظواهر الاجتماعية وبناء النظرية الاجتماعية (ص. x-xi). إن منهج دراسة الحالة يقتضي الاختبار والدراسة المفصلة والدقيقة لمرحلة تاريخية معينة من أجل تطوير أو التوصل لتفسير لهذه الحالة أو المرحلة التاريخية بحيث يمكن بعد ذلك تعميم هذا التفسير على حالات أخرى. ثم إن من الأدوات الهامة في منهج دراسة الحالة هو تتبع عملية (-process tracing) تفاعل المتغيرات بحيث نستطيع إدراك الأسباب والنتائج والمتغيرات الوسيطة بين السبب والنتيجة، وذلك من أجل بناء نظرية اجتماعية دقيقة تستطيع التفسير والتنبؤ. وهذا النوع من النظريات لا نجده في النظريات ذات العمومية الكبيرة وذات التجريد الشديد والتي تركز على البداية والنهاية وتهمل المتغيرات الوسيطة مثل نظرية كينيث والتز (Kenneth Waltz) الواقعية البنوية (Structural Realism).<sup>١٧</sup> والباحث في هذه الدراسة يستخدم المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن لدراسة الحالة التاريخية والمتمثلة في تجربة بناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي، ويحاول أن يمدد ويدقق النظر مستعيناً بكثير من القراءات المتعلقة بدراسة الحالة وبناء النظرية<sup>١٨</sup> من أجل الخروج بتصوير واضح وموضوعي عن المتغيرات الأساسية والوسيطة والتي أدت إلى بناء قوة الدولة الإسلامية في ذلك العهد الشريف. وفي سياق بناء النموذج النظري لبناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي فقد استفدت من النموذجين النظريين لكل من تيد جير (Ted Gurr)، ورائدل شويلر (Randall Schweller) حيث ساعدتني كثيرا



في تصور المتغيرات الأساسية والمتغيرات الوسيطة أثناء دراسة الحالة.<sup>١٩</sup> يضاف إلى ذلك التمعن والتدقيق والتأمل الطويل في الحالة التاريخية محل الدراسة، ومحاولة الإبداع والابتكار في بناء هذا النموذج النظري.

تتكون هذه الدراسة من ثمانية مباحث رئيسية هي:

(١) في هذا المبحث يتم التعريف بالنظرية وكيف يتم بناء النظرية في العلوم الاجتماعية. كما أوضح في هذا القسم أهمية التنظير في العلوم الاجتماعية والنقاش الدائر حول بناء النظرية في العلوم الاجتماعية ؛ والأسباب التي دعتني لوضع هذا المبحث في بداية هذه الدراسة هو ندرة الدراسات التي تناقش السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامي وحتى التاريخ العربي بطريقة تحليلية تنظيرية لذا كان من الأفضل أن تبدأ الدراسة بهذا المبحث. ثانياً إن بناء النظرية في العلوم السياسية وخاصة بالاستناد إلى التجربة الإسلامية والعربية يعتبر نادراً إلى حد كبير بل قد يكون لدى بعض الباحثين غريباً، كما أن التطورات الأخيرة في فلسفة العلم فيما يتعلق بكيفية بناء النظرية في العلوم الطبيعية والاجتماعية والعلاقة بين الملاحظة والفرضية والواقع جعلتني أضع هذا المبحث في بداية هذه الدراسة.

(٢) اطرح في المبحث الثاني فرضيات الدراسة والتي تشير إلى المتغيرات الأساسية والوسيط المؤثرة في زيادة أو ضعف قوة الدولة استناداً للمرحلة التاريخية المتعلقة بالعهد النبوي، وادعم ذلك برسم توضيحي للنموذج النظري يبين العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع.

(٣) أناقش في هذا المبحث تعريف مفهوم القوة في اللغة العربية والقران والسنة، ثم أبين النقاش الدائر حول إمكانية وكيفية قياس قوة الدولة، ولهذا المبحث أهميته الكبيرة لأنه يتعلق بالمتغير التابع - القوة - والذي يمثل محور هذه الدراسة.

(٤) يتعرض هذا المبحث بشكل مختصر لحال الجزيرة العربية قبل الإسلام من الناحية السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا المبحث له أهميته لأنه يبين الحالة التي كان عليها العرب قبل بعثة النبي (ص) وبالتالي نستطيع أن نلاحظ التغير الذي أحدثته التجربة النبوية الكريمة في هذه البيئة العربية القبلية المتأخرة في ركب الحضارة والقوة.

(٥) في هذا المبحث يتم دراسة الحالة التاريخية المتمثلة في السيرة النبوية دراسة تحليلية

استقرائية لتحديد المتغيرات الأساسية والوسيلة التي إلى زيادة قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي.

(٦) أناقش في هذا المبحث الجدل الدائر في الدراسات الغربية حول تعريف مفهوم القوة ليتضح الفارق في تعريف مفهوم القوة بين التصور الإسلامي والتصور الغربي.

(٧) يتم في هذا المبحث طرح الجدل الدائر بين المفكرين والمنظرين الغربيين حول أهم المتغيرات التي تؤثر في قوة الدولة، وبالتالي يمكن مقارنة تلك النظريات بما تم التوصل إليه في هذه الدراسة المستندة إلى العهد النبوي الكريم.

(٨) في الخاتمة يتم مناقشة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وبعض المقترحات المتعلقة بدراسة قوة الدولة في سياقها الإسلامي والعربي.

### أولاً: ماذا نعني بالنظرية:

إن النظرية تمثل "أداة يمكن استخدامها، وليست إجابة للغز نرتاح منه. نحن لا نسلم ونعتمد في حياتنا على النظرية، بل نتقدم إلى الأمام وفي بعض الأحيان نصنع الطبيعة من جديد باستخدام النظرية".<sup>٢٠</sup> في العديد من الحقول العلمية وخاصة في حقل العلوم الاجتماعية يكثر النقاش والجدل حول الطريقة المثلى للقيام بالبحث العلمي وصياغة النظرية، وكل يحاول أن يدافع عن طريقته في البحث. هل الأفضل في بناء النظرية إتباع طريقة الاستنتاج (Deductive) أم طريقة الاستقراء (Inductive)؟، وهل الأفضل الدراسات الميدانية الموضوعية، ودراسة الحالة بطريقة كمية (Qualitative)؟ أم أن الأفضل دراسة عينة كبيرة من الحالات بطريقة كمية (Quantitative) إحصائية؟ والحصيلة كما يشير مجموعة بارزة من الباحثين في حقل العلوم الاجتماعية هو إنتاج عدد قليل من النظريات الدقيقة والمفيدة والتي تستطيع أن تصمد أمام اختبار الوقت والظروف المتغيرة.<sup>٢١</sup>

عندما نسأل: كيف سوف يصوت الناخب غدا؟ قد يجيب الملاحظ والصحفي مباشرة على السؤال وينتهي بذلك الأمر، لكن الباحث الاجتماعي أو عالم الاجتماع يبحث عن العلاقات بين المتغيرات التي تعطيها القدرة على التفسير والتنبؤ بهذه الحالة وغيرها. لذا فإن كلمة (re-search) تعرف في القاموس على أنها تعني البحث أو التجريب النقدي والشامل لمراجعة بعض النتائج في ضوء الحقائق والمعلومات الجديدة. وبالتالي فعالم الاجتماع يبحث عن وحدات (Unit)

أو متغيرات (Variables) والعلاقة التي تربط بين هذه المتغيرات من أجل بناء نظرية تستطيع الشرح والتعليل والتنبؤ، وليس فقط الإجابة على سؤال. وإحدى طرق البحث العلمي لبناء النموذج النظري هي طريقة الاستقراء حيث يأخذ الباحث نتيجة (Outcome) ويبدأ في تكوين وبناء نموذج نظري يستطيع من خلاله أن يفسر ويتنبأ بهذه النتيجة. يضاف إلى ذلك أنه في التعامل مع النظام الاجتماعي ومحاولتنا لدراسته علميا وبناء نماذج نظرية تستطيع تفسيره والتنبؤ به، نواجه مفارقتان من المهم الإشارة إليهما وهما: (١) مفارقة الدقة في التنبؤ (Precision Paradox) وتشير إلى أننا قد نبني نموذج نظري يعتمد على متغيرات أساسية وهذه المتغيرات تحتوي على مؤشرات وعندما نعلم المقدار الذي تغيرت به هذه المؤشرات يكون لدينا قدرة عالية في التنبؤ بالنتيجة مع أننا لا ندرك التفاصيل الدقيقة حول آلية ودinاميكية عمل هذه المتغيرات ومؤشراتها، (٢) مفارقة القوة (Power Paradox) وتشير إلى أننا قد نبني نموذج نظري يشرح لنا بشكل مفصل ودقيق آلية عمل وتفاعل المتغيرات فيما بينها لإنتاج الظاهرة محل الدراسة ومع هذا لا يستطيع هذا النموذج النظري أن يتنبأ بالنتيجة بشكل دقيق وسليم.<sup>٢٢</sup> وإنني أرى أن النتيجة التي تحاول هذه الدراسة بناء نموذج نظري لها هي: قوة الدولة الإسلامية عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والمتغير التابع الذي تحاول هذه الدراسة أن تفسره وتعلله هو قوة الدولة الإسلامية عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مقارنة بالدول الأخرى. كيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه أن يبني دولة قوية تنافس الدولتين العظميين في ذلك الوقت فارس والروم؟ ما هي المتغيرات الأساسية والوسيلة التي أدت إلى زيادة قوة الدولة الإسلامية خلال الثلاث والعشرين سنة من حياته عليه الصلاة والسلام؟ ليس الهدف من هذه الدراسة إعادة كتابة السيرة بطريقة وصفية أو وعظية وإنما الهدف هو بناء (Constructing) نموذج (Model) نظري يحتوي على مجموعة من المتغيرات الأساسية والوسيلة والتي أدت إلى زيادة قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي.

يتكون النموذج النظري من مفاهيم (Concepts) أو وحدات (Units) وهذه الوحدات لوحدها حتى وإن عرفناها لا تكون نموذجا نظريا، وإنما الربط بين هذه الوحدات لتفسير ظاهرة ما هو ما ينتج عنه النظرية. إننا عندما نريد دراسة ظاهرة ما أو شيء ما فإننا لا نركز على الشيء ذاته وإنما نركز على خصائص هذا الشيء، فعلى سبيل المثال، عندما نريد دراسة معنويات أشخاص معينين فإننا نحاول أن نوجد طريقة ما أو نموذج معين نستطيع من خلاله أن نحصل على فهم أفضل لمعنويات هؤلاء الأشخاص بناء على صفات أو خصائص معينة. لكننا لا نستطيع تشريح هؤلاء الأشخاص من أجل معرفة معنوياتهم، لذا فإن بناء النظرية يعتمد بشك كبير على

خصائص الظاهرة وإبداع وخيال العالم في وصف الظاهرة وربط أجزائها ببعض. نعم إن الباحث والعالم الجيد لا يقيد نفسه بالواقع فقط بل يعمل خياله في إيجاد ووصف وحدات الظاهرة والربط بينها. فقد سخر مجموعة من العلماء في القرن التاسع عشر من العالم لوي باستير (Louis Pasteur) عندما أشار إلى أنه يتخيل أو يتصور أن هناك شيء لا يعرفه يمكن تسميته ميكروب (Microbe) هو الذي يتسبب في بعض الأمراض. ثم إنه لابد من التفريق بين الحدث (Event) والوحدة (Unit)، فعندما يقوم مؤرخ ما بدراسة الحرب الأهلية الأمريكية وأسبابها فإنه هنا يركز على الحدث ولا يبني نظرية، لكن عندما يركز دراسته على الحرب فإنه هنا يركز على الوحدة (الحرب) وهي صفة لمجموعة ما يمكن أن توجد في مجموعة أخرى وبالتالي هو هنا يبني نظرية يمكن أن تفسر حدوث الحروب الأخرى. كما أن الوحدة قد تكون صفة لشيء ما (Attribute) وقد تكون متغيرا (Variable)، فإذا كانت متغيرا فإننا نستطيع قياس هذا التغير بصفة رقمية أو ترتيبية، في حين إذا كانت صفة فقد يصعب قياسها إلا من خلال إيجاد مؤشرات لهذه الصفة. ومع هذا فإن الوحدة التي تتكون من صفة أو اسم لشيء ما مثل الثقافة (Culture)، والقوة (Power)، والذات (Ego)، وغيرها من الوحدات أو المفاهيم في العلوم الاجتماعية لا يمكن أن نتصور تطور النظرية بدونها حتى وإن كان قياسها يمثل تحديا صعبا للباحث. ثم إنه حتى في العلوم الطبيعية مثل الفيزياء يوجد وحدات وصفية أو اسمية مثل الكتلة (Mass). كما أنه لا يمكن بناء نظرية اجتماعية بالاعتماد فقط على الوحدات بل لابد من اكتشاف قوانين التفاعل بين هذه الوحدات (Laws of Interaction) أو العلاقات بين هذه الوحدات (Relationship)، ثم إن هذه العلاقة قد تشير إلى السببية (Causality). وفي الغالب فإن العلماء عندما يحددون قوانين التفاعل بين الوحدات فإنهم يريدون معرفة ما يلي:

(١) بمعرفة أن هناك تغير (Variation) في قيمة الوحدة (أ) والتي تمثل الظاهرة محل الدراسة،

(٢) ما هي الوحدات (ب، ج، د، ... الخ) التي يمكن أن تتفاعل أو ترتبط بالوحدة (أ)،

(٣) وبالتالي هذا التغير الذي حدث في الوحدة الأساسية (أ) هل يمكن إرجاعه إلى التغير الذي حصل في أي من الوحدات (ب، ج، د، ... الخ). ومع أن العلاقة السببية مهمة للغاية في بناء النظرية الاجتماعية إلا أن التأكد منها هو أمر في غاية الصعوبة والتعقيد. ثم إن القوانين العلمية ليست إلا نتائج العقل البشري، وهذا قد يؤيد ما يؤمن به مجموعة بارزة من العلماء من أن العلم هو اكتشاف للقوانين الإلهية التي تحكم الكون.<sup>٢٣</sup>

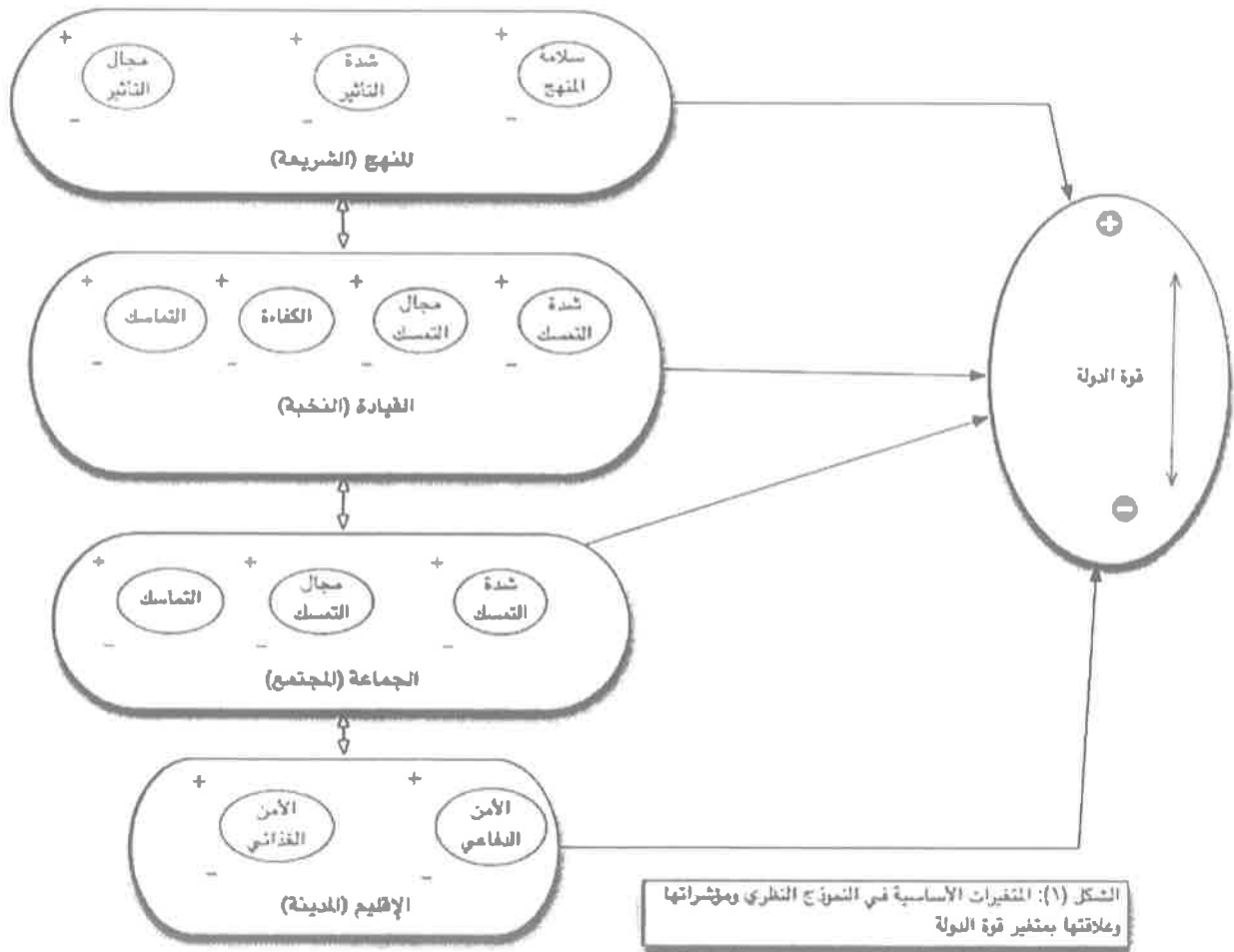
تركز الأسئلة الهامة في العلوم الاجتماعية على مفاهيم يحصل فيها تغير (Variation) وهذا التغير في مفهوم ما - ظاهرة ما - يساعد في فهم تغير يحدث في مفهوم آخر - ظاهرة أخرى-. فعلى سبيل المثال، ما علاقة الدين بالانتخاب أو التصويت، هل تدين الإنسان يؤثر على من سيصوت له في الانتخابات الرئاسية الأمريكية؟ ونلاحظ هنا أن الدين كمفهوم يمكن اعتباره متغيراً من ناحية شدة تدين الناخب أو ضعف تدينه، وكذلك نوع الديانة بروتستانتية، كاثوليكية، يهودية، وهكذا. ثم إن المتغير يمكن قياسه إما بوجود هذا المتغير من عدمه مثل إما أن تكون المرأة حاملاً أو لا، أو بوصفه مثل متغير الجنس إما ذكر أو أنثى، أو يكون قياس المتغير ترتيبياً مثل شدة التدين (عالي، متوسط، منخفض)، أو يكون قياس المتغير رقمياً متصلاً مثل درجة الحرارة أو العمر. وتمثل الفرضيات البنية الأساسية لأي دراسة علمية حيث أن الفرضيات تشير إلى علاقة بين متغيرين أو أكثر. فعلى سبيل المثال، قد يقترح باحث ما هذه الفرضية: تزداد المشاركة السياسية عندما يزداد مستوى التعليم. وفي هذه الفرضية نلاحظ العلاقة بين متغير المشاركة السياسية ومتغير مستوى التعليم. ويأتي بعد ذلك ما يعرف بالنظرية وهي عبارة عن مجموعة من الفرضيات المترابطة والتي تحاول أن تشرح لماذا حدثت أحداث أو ظواهر معينة بالطريقة التي تمت بها.<sup>٢٤</sup>

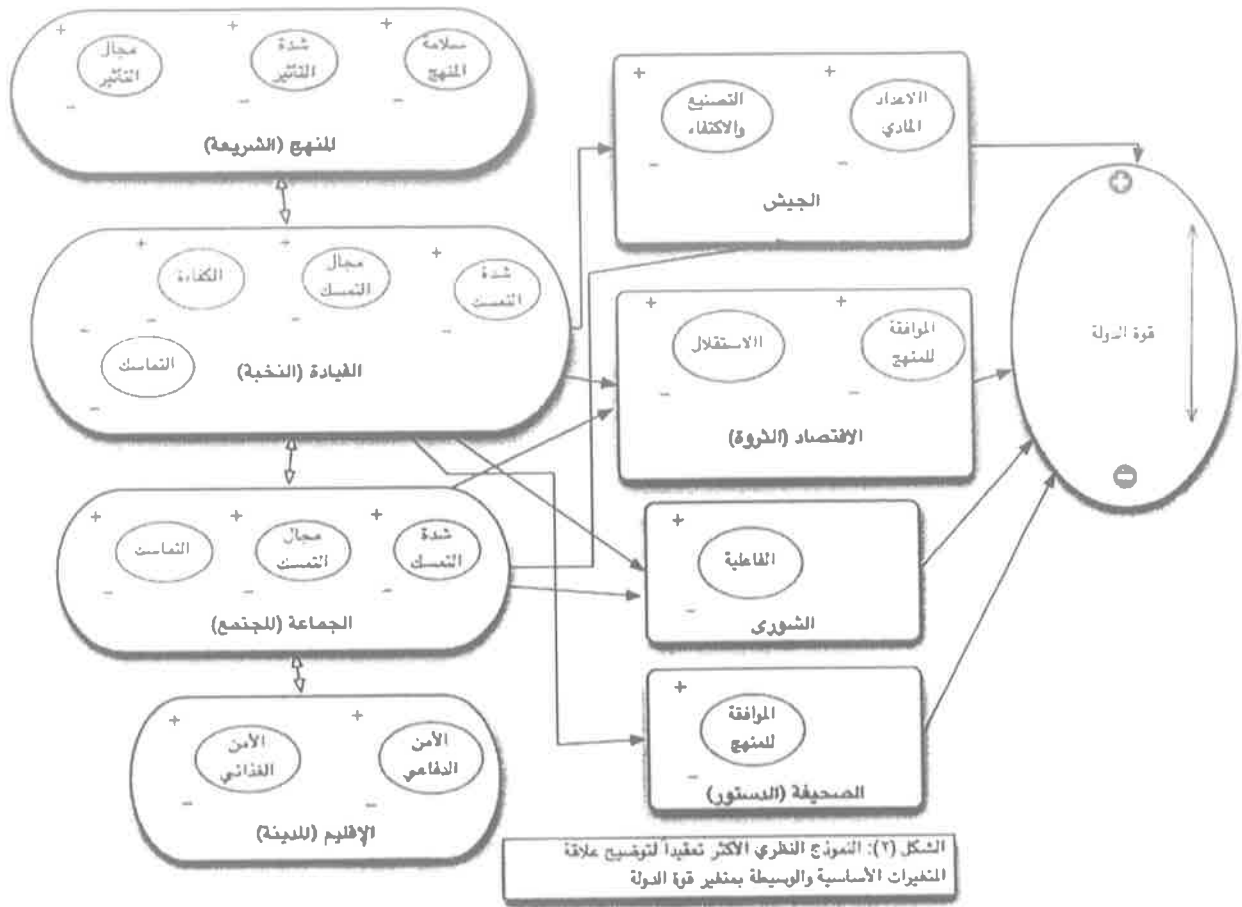
### ثانياً: فرضيات الدراسة:

من خلال دراسة بناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي دراسة استقرائية تحليلية مقارنة وبالتركيز على المتغيرات المستقلة الأساسية والوسيطية والمؤثرة في المتغير التابع (قوة الدولة)، فإن الباحث في هذه الدراسة يطرح ثمان فرضيات يعتقد أنها تستطيع أن تشرح وتفسر لنا الأسباب التي أدت إلى زيادة قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي وهي:

١. متغير أساسي: كلما كانت الشريعة (المنهج) سليمة بحيث تماثل أو تقترب مما كان عليه النبي (ص)، وكانت شدة تأثير هذه الشريعة (المنهج) مرتفعة، ومجال تأثيرها مرتفعاً، كلما أدى ذلك في الغالب إلى زيادة قوة الدولة والعكس صحيح.
٢. متغير أساسي: كلما كانت شدة تمسك القيادة (النبذة) بالمنهج مرتفعة، ومجال التمسك مرتفع، ودرجة تماسك النبذة مرتفعة، وكفاءة النبذة مرتفعة كلما أدى ذلك في الغالب إلى زيادة قوة الدولة والعكس صحيح.
٣. متغير أساسي: كلما كانت شدة تمسك المجتمع بالمنهج مرتفعة، ومجال التمسك مرتفع،

- ودرجة تماسك المجتمع مرتفعة كلما أدى ذلك في الغالب إلى زيادة قوة الدولة والعكس صحيح.
٤. متغير أساسي: كلما كانت تحصينات إقليم الدولة الدفاعية سواء جغرافية أو عسكرية مرتفعة، وكان مستوى أمنه الغذائي مرتفعاً، كلما أدى ذلك في الغالب إلى زيادة قوة الدولة والعكس صحيح.
٥. متغير وسيط: كلما كان هناك صحيفة أو دستور في الدولة وكان مستوى موافقته للمنهج مرتفعة، كلما أدى ذلك إلى زيادة قوة الدولة والعكس صحيح.
٦. متغير وسيط: كلما كان هناك مؤسسة للشورى، وكان مستوى فاعلية هذه الشورى مرتفعة، كلما أدى ذلك في الغالب إلى زيادة قوة الدولة والعكس صحيح.
٧. متغير وسيط: كلما كان الإعداد المادي للجيش مرتفعاً، وكان مستوى الاكتفاء والتصنيع مرتفعاً، كلما أدى ذلك في الغالب إلى زيادة قوة الدولة والعكس صحيح.
٨. متغير وسيط: كلما كان مستوى موافقة اقتصاد الدولة للمنهج مرتفعاً، ومستوى استقلال هذا الاقتصاد مرتفعاً، كلما أدى ذلك في الغالب إلى زيادة قوة الدولة والعكس صحيح.
- والمقصود بشدة (Intensity) التأثير أو شدة التمسك هو قوة وحدة تأثير هذه القيم على الأفراد وقوة التمسك بها، أما مجال (scope) التأثير ومجال التمسك فالمقصود به هو مدى انتشار هذا التأثير، ومدى انتشار التمسك بقيم المنهج سواء في النخبة أو في المجتمع. والتماسك يشير إلى درجة ترابط وتوافق النخبة ويشير كذلك في حالة المجتمع إلى مستوى ترابطه وتماسكه. ثم إن هذه المتغيرات قد يصعب جداً تعريفها إجرائياً إلا أنه بالإمكان اللجوء إلى تحديد مؤشرات هامة لكل متغير بناء على دراسة الحالة بحيث يعطينا تصور وإن لم يكن دقيقاً للغاية عن درجة هذا المتغير. كما أننا نستطيع أن نقيس هذه المتغيرات ومؤشراتها باستخدام مستوى القياس الترتيبي بحيث نستطيع إعطاء كل مؤشر أحد المراتب التالية: مرتفع، أو متوسط، أو منخفض. وهذه الطريقة للقياس تعطينا درجة من الوضوح والدقة لا نجدها في كثير من دراسات السيرة النبوية الوصفية والتاريخية والوعظية، انظر الشكل (١)، والشكل (٢). كما أنه ينبغي الإشارة في هذا السياق إلى أن النظرية المطروحة في هذه الدراسة هي نظرية وصفية تحليلية لا تدعي الإحاطة والدقة الكاملة في وصف وتحليل عملية بناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي.





### ثالثاً: مفهوم القوة في اللغة العربية والقران والسنة:

يذكر ابن منظور في اللسان تحت مادة (قوا) بأن القوة ضد الضعف وبأنها وردت في مواضع عديدة في القران والسنة وفي لغة العرب لتعني القوة في البدن، والعقل، والحجة، والدين، ولتعني كذلك القوة في الحبل، والرمي، والدابة وساق شواهد عديدة من القران والسنة والشعر العربي ليؤيد ما ذكره ومن ذلك قول الله عز وجل "يا يحيى خذ الكتاب بقوة"، وقول الشاعر: ومال بأعناق الكرى غالباتها \*\*\* وإني على أمر القواية حازم.<sup>٢٥</sup> ويذكر الرازي تحت مادة قوا القوة بأنها ضد الضعف، "والقوة الطاقة من الحبل وجمعها (قوى)...و(قوي) الضعيف بالكسر (قوة) فهو (قوي) و (تقوى) مثله. و (قاواه فقواه) أي غلبه".<sup>٢٦</sup>

وردت لفظة القوة ومترادفاتها في إحدى وأربعين آية من أي القران الكريم، وفي هذه الآيات ذكر للعديد من مصادر القوة وأشكالها. فعلى سبيل المثال ورد في العديد من الآيات الإشارة إلى قوة الله عز وجل وأنها هي القوة المطلقة التي لا يماثلها قوة وذلك في مثل قوله سبحانه "ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً" [البقرة: ١٦٥]، وقوله سبحانه "أولم يروا أن



الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة" [فصلت: ١٥]. كما وردت آيات تدل على أشكال متنوعة من القوة البشرية في مثل قوله سبحانه " قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك" [النمل: ٣٣]، وقوله عز وجل "وقالوا من أشد منا قوة" [فصلت: ١٥]، وقوله تعالى "خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون" [الأعراف: ١٧١]، وقوله سبحانه "ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة" [الروم: ٥٤].<sup>٢٧</sup> كما وردت لفظة القوة ومترادفاتها في العديد من المواضع في القرآن الكريم لتدل على معاني متعددة، وهذه المعاني تتكرر في بعض الأحيان في أكثر من آية، وبالتالي فسوف أحاول أن أبرز هذه المعاني من خلال ذكر بعض هذه الآيات الدالة على هذا المعنى أو ذاك:

قوله سبحانه وتعالى "ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب" [البقرة: ١٦٥]، أي يعلم الذين يتخذون أصناماً وألهاة يحبونها ويعبدونها من دون الله حقيقة قوة الله عز وجل وشدة عذابه. وقد وردت آيات أخرى متعددة تشير إلى كمال قوة الله عز وجل وشدة بطشه وجبروته وأنه غالب في كل شيء ومن ذلك قوله تعالى "أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة" [فصلت: ١٥]، وقوله تعالى "ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز" [الحج: ٤٠]، وغيرها من الآيات الدالة على أن القوة المطلقة الكاملة التي لا يماثلها قوة هي من صفات العزيز سبحانه. قوله تعالى "خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه" [البقرة: ٦٣]، وقوله تعالى "فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها" [الأعراف: ١٤٥]، لتعني الجد والاجتهاد، والإخلاص، والفهم والتدبر ثم العمل. قوله تعالى "يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم..." [هود: ٥٢] أي يزيدكم شدة إلى شدتكم، وخصباً إلى خصبكم، وأولاداً إلى أولادكم، وعزاً إلى عزكم وهذه هي القوة ، وكذلك قوله تعالى " قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك..." [النمل: ٣٣] "قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتد ضم فخذيه فحبسه بقوته". وقوله تعالى "قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد" [هود: ٨٠] يقول لوط عليه السلام لو أن لي أعواناً وأنصاراً أو أولاداً يساعدونني على رد هؤلاء المجرمين من قومه عما يريدونه من الفاحشة، وقد قيل بأن جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه، وقيل أخذ جبريل قبضة من التراب فأذراها في وجوههم فأصابهم العمى فلم يعرفوا طريقهم إلى بيوتهم. وهناك آيات عديدة في هذا السياق تدل على قوة الأقوام التي سبقت وشدة بطشها وقدرتها على عمارة الأرض ولكنها عندما طغت وأفسدت أهلكتها الله عز وجل بقوته القاهرة وسلطانه الذي لا يغلب.<sup>٢٨</sup> ومن الآيات الهامة للغاية في هذا السياق قوله تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون" [الأنفال: ٦٠]، يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية

"أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمه التقوى. فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام، والتفل في وجوههم، وبحفنة من تراب كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ" (القرطبي، ج ١٠، ٥٥-٥٦). وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"، وقد خص الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم الرمي والخيل لأنهما أقوى وأنفع الأدوات في الحرب وأشدّها نكايّة في العدو.<sup>٢٩</sup> وإننا إذا نظرنا إلى واقع الحروب في عصرنا الحالي نجد بأن سلاح الطيران هو أقوى الوسائل وأشدّها فاعليّة في الرمي وقتل الأعداء وتدميرهم وبالتالي يحل مثل هذا السلاح محل الرمي بالأسهم الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يأتي بعده في الأهمية كل ما يؤدي إلى رمي الأعداء والنكايّة بهم من صواريخ وراجمات للصواريخ وغيرها من العتاد الحربي، ويحل محل الخيول المدرعات وناقلات الجنود وكل ما يزيد من قوة المسلمين من وسائل حربية تؤدي إلى التنكيل بعدوهم وهزيمته. ويدخل في إطار الإعداد والقوة معرفة كل ما هو جديد في قضايا التسليح العسكري والإستراتيجيات العسكرية والتدريب عليها ومن بعد ذلك الانتقال إلى مرحلة التصنيع والتطوير والابتكار وعدم الاعتماد على الدول غير المسلمة في عملية التسليح والإستراتيجيات. يقول محمد رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية بأن "من قواعد الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالواجب على المسلمين في هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطائرات والمناطيد وإنشاء السفن الحربية بأنواعها ومنها الغواصات التي تغوص في البحر، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوى الحرب..."<sup>٣٠</sup> كما أنه لا بد من الإعداد المعنوي الإيماني لأفراد المجتمع وحفز قواهم وطاقتهم وتسليحهم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وبالأخلاق الدينية الصالحة لكي يتمكن المسلمون من الانتصار على عدوهم.<sup>٣١</sup>

وبالبحث في هذه الدراسة يرى أن قوة الدولة بناء على دراسة تجربة العهد النبوي هي عبارة عن محصلة الأداء أو الدرجات سواء كانت مرتفعة أو منخفضة في المتغيرات الأربعة الأساسية بشكل أساسي وجوهري، ويتبع ذلك محصلة درجات المتغيرات الوسيطة والتي هي نتاج المتغيرات الأساسية.

## ■ قياس قوة الدولة:

إن الإسهامات العربية في مجال قياس قوة الدولة إسهامات محدودة للغاية، وقد يكون من أبرزها محاولة محمد السيد سليم، وعلي نصار، واللواء أحمد فخر، وعبدالمجيد فراج، ونبيل فؤاد. ثم إن هناك محاولات عربية لإيجاد مناهج لقياس قوة الدولة ومن أهمها ثلاث محاولات: (١) المحاولة التي وردت في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية، (٢) محاولة جيفري هارت (Jefferey Hart، 3) محاولة أشيلي تيليس (Ashley Tellis). ويبرز ثلاثة اتجاهات لقياس قوة الدولة:

(١) الاتجاه الذي يركز على محاولة قياس قوة الدولة من خلال التركيز على العوامل المادية وخاصة القدرة العسكرية والقدرة الاقتصادية للدولة. من ذلك محاولة جورج مودلسكي (George Modelski)، حيث حدد عدداً من المؤشرات لقياس قوة الدولة هي: النفقات العسكرية، وحجم القوات المسلحة، والدخل القومي، والسكان، ويرى مودلسكي أن الدولة لا بد أن يكون لديها السيطرة والقدرة على استغلال ثرواتها. وهناك أيضاً محاولة كل من نورمان الكوك (Norman Alcock)، وألان نيوكمب (Alan Newcombe)، واللذان يؤكدان على إمكانية قياس قوة الدولة من خلال عنصرين هما: إجمالي الدخل القومي، والنفقات العسكرية. في حين يرى غونار سجوستدت (Gunnar Sjostedt)، بأنه يمكن قياس قوة الدولة من خلال مؤشرين هما: الإنتاج المحلي، واستهلاك الطاقة. وفي محاولة عربية في هذا الاتجاه، يرى محمد السيد سليم أنه يمكن قياس قوة الدولة من خلال التركيز على ثلاثة أبعاد هي: مؤشرات امتلاك الموارد الاقتصادية، ومؤشرات القدرة على استعمال الموارد، ومؤشرات القدرة العسكرية.

(٢) الاتجاه الثاني يرى بأن قوة الدولة هي نتاج أو محصلة مجموعة من العوامل المادية والعوامل المعنوية. ويبرز في هذا الاتجاه العديد من الدراسات منها محاولة ويلكنسون (Wilkinson)، والذي يرى بأن قوة الدولة يمكن قياسها بالتركيز على ثلاثة أبعاد رئيسية هي: البعد الجيوديموغرافي ويتضمن الموقع والسكان والموارد، والبعد السياسي والاقتصادي والعسكري، والبعد الثالث ويتضمن القدرة على العمل الجماعي اجتماعياً وأخلاقياً ومعنوياً وسياسياً. ومنها كذلك محاولة أورغانسكي (Organski)، والذي يرى بأن قوة الدولة يمكن قياسها من خلال ستة عناصر هي: السكان، والتنمية السياسية، والتنمية الاقتصادية، والأخلاق القومية، والثروات، والجغرافيا. وقد أشار أورغانسكي إلى أن هذه العناصر مترابطة فيما بينها

وأن كلاً منها يؤثر في الآخر. ومن أبرز المحاولات في هذا الاتجاه محاولة راي كلاين ( Ray Cline)، والتي طرح فيها معادلة لقياس قوة الدولة هي:

قوة الدولة = حاصل جمع عناصر الكتلة الحيوية من سكان وإقليم وقدرة اقتصادية  $x$  حاصل جمع الهدف الاستراتيجي والإرادة على تحقيق الإستراتيجية.

ويحدد العناصر المادية في ثلاثة أبعاد هي: (١) الكتلة الحيوية ((Critical Mass، 2) القدرة الاقتصادية ((Economic Capability، 3) القدرة العسكرية ((Military Capability. بينما يحدد العناصر المعنوية في بعدين هما: (١) الهدف الاستراتيجي ((Strategic Purpose، 2) الإرادة على تحقيق الإستراتيجية القومية ((Will to Purpose National Strategy، وقد أعطى كلاين لكل عنصر وزناً تقديراً معيناً.

(٣) الاتجاه الثالث يرى بأنه ينبغي قياس قوة الدولة في حالة توظيفها، أي عندما تستخدم الدولة قدراتها في موقف أو حدث مع دولة أخرى، أو تستخدمها في إطارها الإقليمي أو الدولي. ومن المحاولات الحديثة في هذا السياق، محاولة أشلي تيليس وآخرون والتي أخذت في اعتبارها سقوط الاتحاد السوفييتي وأحداث التسعينات وبروز الهيمنة الأمريكية في النظام الدولي، حيث يرى أصحاب هذه المحاولة ارتباط قياس قوة الدولة بالهدف الذي تريده الدولة. ويرون بأن قوة الدولة تمثل حاصل جمع درجة التجديد الاقتصادي ودرجة القدرات العسكرية ودرجة الهيمنة أو السيطرة كهدف خاص للدولة.<sup>٣٢</sup>

إن هناك إشكاليات عديدة تتعلق بمنهج وطرق قياس قوة الدولة منها التركيز على الجانب المادي وإغفال الجوانب الأخرى، والتركيز على عنصر واحد في قياس قوة الدولة، وعدم إدراك أن القوة مسألة نسبية لها علاقة بالدول الأخرى، وكذلك عدم التقدير للقوة الكامنة. كما أن هناك مسألتان هامتان وهما: أن القوة وقياسها مرتبط بالهدف الذي تريد تحقيقه الدولة من استخدام القوة، والثاني أنه يمكن استخدام قياس قوة الدولة لتفسير الماضي والتنبؤ بالمستقبل.<sup>٣٣</sup> والباحث في هذه الدراسة يعتقد بأنه من المهم إدراك الهدف الذي تم من أجله بناء قوة الدولة في سيرة النبي (ص)، ثم كذلك أهمية استخدام الموديل النظري لبناء قوة الدولة الإسلامية في السيرة النبوية من أجل تفسير الماضي والحاضر وخاصة في المجال العربي والإسلامي. وفي محاولته الخاصة والجادة لقياس قوة الدولة، يقسم زهران عناصر المقياس إلى قسمين هما:

(١) العوامل المادية وهي تمثل الموارد المادية الأساسية للدولة سواء كانت متاحة للاستثمار أو

كامنة، وهذه العوامل تشتمل على أربعة عناصر تم ترتيبها بعد عرضها على عدد كبير من المحكمين وهي: (١) القدرة الاقتصادية، (٢) القدرة العسكرية، (٣) القدرة الاتصالية، (٤) القدرة الحيوية.

(٢) العوامل المعنوية وهي تمثل الأرضية الأساسية التي يمكن الانطلاق منها لتحقيق العناصر الأخرى. وتتضمن العوامل المعنوية ثلاثة عناصر هي: (١) القدرة السياسية، (٢) الإرادة القومية، (٣) القدرة الدبلوماسية. ويؤكد على أن "العوامل المعنوية هي التي تحرك العوامل المادية وتوظفها لتحقيق هدف ما... وهو الأمر الذي يجعل للعوامل المعنوية الأثر الحاسم في قياس قوة الدولة ومعرفة الإمكانيات الحقيقية وطريقة التعامل معها".<sup>٢٤</sup>

وقد اعتمد أحد الباحثين في قياسه لقوة الصين على استمارة جمال زهران الأصلية وليست الاستمارة المقررة بعد التحكيم، ولذلك كانت القدرة الحيوية هي الأولى بينما كان من المفترض أن تكون الأخيرة، ثم إنه اقتصر في قياسه لقوة الصين بالمقارنة مع (أمريكا، روسيا، بريطانيا، ألمانيا، اليابان) على العوامل المادية دون العوامل المعنوية. وقد كانت النتيجة أن احتلت أمريكا المرتبة الأولى (١٦،٣٣)، وروسيا الثانية (١٣،٣٣)، والصين الأخيرة (٩،٨٣). والباحث يعتقد بأن المقياس يعترضه نقص وخلل، حيث أن العوامل المعنوية كما أشار زهران هي المحرك الأساسي للعوامل المادية فكيف يتم تجاهلها، ثم إن المقياس يعطي الصين في القدرة الحيوية قيمة (٣،٩٩) بينما يعطي روسيا (٦،٠٣)، ويعطي روسيا في القدرة الاقتصادية (٣،٧٢) بينما يعطي الصين (٣،١)، وهذا يشير إلى وجود خلل في المؤشرات المحددة لقياس قدرات الدول. فهل معطيات الواقع تشير إلى تفوق الاقتصاد الروسي على الاقتصاد الصيني؟ ثم هل القدرات الحيوية للمجتمع الروسي أفضل منها في الصين؟ ثم إن هذا الباحث يرى أن مفهوم القوة مفهوم متغير بتغير معطيات الزمان والمكان، فمثلاً كانت القوة العسكرية في الماضي أهم عنصر من عناصر القوة، بينما أصبحت القوة الاقتصادية اليوم أهم من القوة العسكرية. والباحث في هذه الدراسة يرى بأن القوة العسكرية كانت ولا تزال أهم من القوة الاقتصادية، بل إن القوة العسكرية في كثير من الأحيان كانت هي الأساس في تحقيق القوة الاقتصادية.<sup>٢٥</sup>

#### رابعاً: حالة الجزيرة العربية قبل الإسلام:

عاشت البشرية في القرنين السادس والسابع الميلاديين حالة من التخلف والتدهور على جميع الأصعدة فلقد انتشرت الخرافات والوثنيات والمعتقدات الفاسدة والعصبيات والطبقيات

والمفاسد الاجتماعية والسياسية، ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم جميعاً إلا بقايا من أهل الكتاب".<sup>٢٦</sup> وبما أننا في دراستنا هذه نبحث بناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي، فقد يكون من المناسب أن نتعرض ولو بشيء من الاختصار لحال الجزيرة العربية سياسياً ودينياً واجتماعياً قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

## • الحالة السياسية:

### (١) الملك باليمن:

إن من أقدم الحضارات والدول في الجزيرة العربية مملكة سبأ في اليمن والتي استمرت قرابة احد عشر قرناً. وفي تلك الحضارة يقول الله عز وجل "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور" \* فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل\* ذلك جزينهم بما كفروا وهل نجزي إلا الكفور" [سورة سبأ الآيات: ١٥-١٧]، فهنا يبين الله عز وجل كيف أن ملوك سبأ في اليمن فكروا في استغلال مياه السيول والأمطار ببناء سد بين الجبلين الذي تجتمع بينه السيول وأقاموا على طرفيه وحوله المزارع الخضراء الناضرة والوفيرة بالثمار والحياة، ولكنهم أعرضوا عن أمر الله ف"بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل. وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل. ولهذا قال تعالى: "ذلك جزينهم بما كفروا وهل نجزي إلا الكفور؟ أي: عاقبناهم بكفرهم".<sup>٢٧</sup> ثم قضت على مملكتهم قبيلة حمير اليمنية في القرن الثالث الميلادي، وبعد ذلك بدأت الحضارة اليمنية في الانحطاط وأخذت القبائل القحطانية في الهجرة إلى مناطق مختلفة. وتوالى الاضطرابات والحروب بين القبائل اليمنية المختلفة مما جعل الرومان يحتلون عدن ثم عاون الروم الأحباش فاحتلوا اليمن سنة ٣٤٠م واستمر احتلالهم لليمن إلى سنة ٣٧٨م. وبعد أن نال اليمنيون استقلالهم سلط الله عليهم سيل العرم سنة ٤٥٠م فهدم سد مأرب وزالت نعمتهم وقوتهم وذلك بسبب انحرافهم وفسادهم. ثم تسلط عليهم الأحباش من جديد وحكموا اليمن إلى أن استنجد اليمانيون بالفرس الذين ساعدوهم على إجلاء الأحباش من اليمن سنة ٥٧٥م بقيادة معد يكر بن سيف بن ذي يزن الحميري والذي أصبح ملكاً على اليمن، ولكنه قتل ونصب كسرى حاكماً فارسياً على اليمن وأصبحت اليمن ولاية فارسية. وكان آخر

الولاة الفارسيين باذان والذي اعتنق الإسلام في جمادى من سنة سبع للهجرة - ٦٢٨م وبإسلامه انتهى النفوذ الفارسي في اليمن.<sup>٣٨</sup>

## (٢) الملك بالحيرة والشام:

سيطر الفرس على العراق وما حوله من تخوم وخاصة في عهد اردشير الفارسي مؤسس الدولة الساسانية منذ سنة ٢٢٦م. وقد رأى أن ينصب ملكاً عربياً على مناطق العرب لكي يساعده في قمع المتمردين من العرب ولكي يحد من مطامع الروم في المنطقة وكان من أبرز ملوك العرب المواليين للفرس النعمان بن منذر والذي عندما اختلف مع الفرس هزمهم في موقعة ذي قار. أما الشام فقد كثرت هجرة القبائل العربية إليه وخاصة بطون من قضاة وكان منطقة نفوذ للروم والذين سعوا إلى تنصيب ملكاً على القبائل العربية المنتشرة بالشام لكي يقمع القبائل العربية المتمردة ويصد التوسع الفارسي في الشام. وانتهى ملك الشام إلى الغساسنة والذين استمر حكمهم وولانهم للروم حتى موقعة اليرموك سنة ١٣هـ - ٦٣٤م.<sup>٣٩</sup>

## (٣) مكة:

لم يكن ببلدان الحجاز دولة وإنما كان بها مدن تقوم على نظام سياسي قبلي يتزعمه شيخ القبيلة. ومن أشهر هذه المدن مكة، ويثرب، والطائف. وقد تولى أمر مكة والكعبة والحج قبيلة جرهم والتي أفسدت في الأرض بعد إصلاحها فسلط الله عليهم قبيلة خزاعة والتي حاربتهم وانتزعت منهم ولاية البيت الحرام. واستمرت خزاعة في ولاية أمر البيت قرابة ثلاثمائة سنة إلى أن حاربهم قصي بن كلاب وانتزع قصي وقومه من كنانة ولاية البيت الحرام واستمر الأمر في أولاده وأحفاده من بني عبد الدار وعبد مناف إلى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أقرهم عليها بعد فتح مكة.<sup>٤٠</sup>

## (٤) يثرب:

كان أول من سكنها العمالقة ثم تغلبت عليهم بعض القبائل اليهودية والتي هربت من الشام إلى يثرب في القرنين الأول والثاني الميلاديين بسبب الحروب التي شنها الرومان ضد اليهود بسورية. وكان أبرز القبائل اليهودية التي هربت إلى يثرب بنو النضير وبنو قريظة، وقد أقاموا في يثرب حتى نزحت إليهم قبيلتان من اليمن بعد انهزام سد مأرب وهما قبيلتي الخزرج والأوس. وقد عاش الجميع في وئام فترة من الزمن ثم ما لبثت أن نشبت بينهم الخلافات والحروب وكان أطول

هذه الحروب بين الخزرج والأوس وكانت الغلبة في أغلب الأحيان للخزرج حتى تحالف اليهود مع الأوس وهزموا الخزرج في موقعة بعاث. بعد ذلك اتفقوا على إقامة حكومة برئاسة عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي وبينما كانوا كذلك إذ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً ودان الجميع بالإسلام.<sup>٤١</sup>

### • الحالة الدينية والاجتماعية والاقتصادية عند العرب في الجزيرة

كان الناس في الحجاز على دين إبراهيم وإسماعيل إلى أن سافر رئيس قبيلة خزاعة عمرو بن لحي إلى الشام ووجد العمالة يعبدون الأصنام فأعجبه ما رأى وأخذ من عندهم صنم هبل وعاد به إلى مكة وأمر الناس بتعظيمه وعبادته. وقد تكاثرت عبادة الأصنام والأوثان منذ ذلك الوقت. ومما يصور هذا التدهور الديني ما جاء في صحيح البخاري عن أبي الرجاء العطاردي قال: "كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من التراب وجننا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا به." وكان في العرب من يعبد النجوم كالشعري، وعبد أهل اليمن الشمس كما ورد ذلك في قصة ملكة سبأ في قوله سبحانه وتعالى "إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (٢٣) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (٢٤)" [النمل: ٢٣-٢٤]. كما دانت بعض القبائل العربية باليهودية والنصرانية. كما أن هناك نفر قليل قد بقي على دين إبراهيم عليه السلام مثل زيد بن عمر بن نفيل، وأميرة بن أبي الصلت، والناطقة الذبياني. وفي الجانب الاجتماعي كانت حياة العرب يتخللها العديد من مظاهر الفساد والانحطاط مثل شرب الخمر، ولعب الميسر، والزنا، والزواج بغير عدد، وقتل الأولاد خشية الفقر، وقتل البنات خشية العار، وإثارة الحروب لأتفه الأسباب. كما كان العرب يحتكمون إلى العادات والتقاليد والأعراف القبلية. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر نظرتهم الدونية إلى المرأة وبأنها في الغالب تجلب العار والهيم، وقد أشار الله عز وجل إلى ذلك في قوله سبحانه "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم \* يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون" [سورة النحل: ٥٨-٥٩] (الصلابي، ٢٧-٣١)، وهنا يتبين دور الإسلام كمنهج جديد للحياة في إحداث ثورة وانقلاب في ميزان القيم السائدة لدى العرب والذي سوف يشكل بالنسبة لنا في هذا البحث أحد أهم المتغيرات في بناء قوة الدولة الإسلامية. كما أن حياتهم الاجتماعية في الجانب الآخر لا تخلو من قيم عالية وكرامة مثل الشهامة، والكرم، والشجاعة، وعشق الحرية، والفصاحة، وشدة الفطنة، وغيرها من



مكارم الأخلاق التي اتصف بها العرب. أما الناحية الاقتصادية فكانت تقوم على الزراعة والتجارة وتربية الأغنام والإبل، وكان العرب يأنفون من الصناعة ويتركونها للأعاجم والموالي.<sup>٤٢</sup>

### خامساً : متغيرات بناء قوة الدولة في العهد النبوي:

لقد اهتم النبي (ص) في مكة بالفرد وبالأسرة الحاضنة لهذا الفرد ولذلك فقد وزع أصحابه عليه الصلاة والسلام في مجموعات فمثلاً كانت فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، كانوا في أسرة واحدة مع نعيم بن عبد الله النحام بن عدي وكان معلمهم خباب بن الارت وقد كان خباب بن الارت يعلمهم القرآن وما فيه من أحكام وعظات. وكان الصحابة رضوان الله عليهم في مكة يجتمعون بالمعلم الأول سراً في دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث كان عليه الصلاة والسلام يربيههم ويعلمهم أحكام هذا الدين وذلك إدراكاً منه عليه الصلاة والسلام لأهمية الاتصال المباشر بين القائد والأتباع ولأهمية الفرد في بناء الدولة وقوتها. وكانت الفترة الأولى من عمر الدعوة إلى الإسلام فترة عصيبة ولذلك اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته على السرية والتخطيط الدقيق متجنباً بذلك الاصطدام بالقوى الأخرى في ذلك الوقت، ولم يكن اختياره صلى الله عليه وسلم لدار الأرقم لمجرد الوعظ والإرشاد وإنما كانت مركزاً للقيادة، ومدرسة للتعليم والتربية والإعداد والتأهيل للدعوة والقيادة، بالتربية الفردية العميقة الهادئة، وتعهد بعض العناصر والتركيز عليها تركيزاً خاصاً". كما أن حركة الإسلام الأولى والتي قادها النبي صلى الله عليه وسلم خضعت إلى العديد من القوانين والسنن منها أهمية القيادة في صنع الحضارات، وأهمية الجماعة المؤمنة بهذه القيادة والمنظمة في مقاومة الباطل، وأهمية المنهج الذي تستمد منه العقائد والقيم والتصورات. يضاف إلى ذلك أهمية سنة التدرج في التغيير فلقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاماً قضى جلها في التربية والتكوين ولم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع بقدر ما كانت مرحلة تربية وتكوين.<sup>٤٣</sup> وهنا يتضح لنا ومن خلال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بروز ثلاث متغيرات هامة ومؤثرة في زيادة أو نقص قوة دولة المدينة النبوية، وهذه المتغيرات الثلاثة هي: الأول: متغير المنهج أو القيم والمعتقدات والتصورات التي تؤمن بها القيادة وتحاول أن تنشرها بين الناس، والثاني: القيادة الواعية والملتزمة بالمبادئ التي تطرحها، والثالث: متغير الجماعة التي تؤمن بهذه القيادة وبالمبادئ والمعتقدات والتصورات التي تطرحها. وبالتالي في إطار بحثنا ومحاولة بناءنا لنظرية تفسر وتشرح عملية بروز أو ضعف قوة الدولة الإسلامية في مرحلة العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة، يتبين لنا من خلال استقراءنا

لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية هذه المتغيرات الثلاثة في عملية بناء قوة الدولة.

وفي إطار المتغير الأول وهو متغير العقيدة والمنهج والقيم أو ما قد يطلق عليه بعض الباحثين الأيدلوجيا - مع أن ما جاء به الإسلام ليس أيدلوجيا وإنما دين وشرعية من الله عز وجل - يمكن الإشارة إلى العديد من الأمثلة التي توضح حضور وأهمية هذا المتغير في بناء القوة في دولة الإسلام. فمن ذلك تصحيح عقائد الجاهلية حول الله عز وجل وذلك في المرحلة المكية كما في قوله سبحانه "وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون" [الأنعام: ١٠٠]، وقوله عز وجل "إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين" [الأعراف: ٥٤]، وغيرها من السور المكية والتي توضح وترسخ العقيدة الصحيحة في قلوب الجماعة المؤمنة في مكة وذلك ببيان توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وكل ما يتعلق بالإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره. وفي ذات السياق وصف الجنة والنار في القرآن المكي والتركيز على ذلك وأثر ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى "وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويت بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون" \* ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون \* وأشرققت الأرض بنور ربها ووضع الكتب وجاء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون \* ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون \* وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين \* قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين \* وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلم عليكم طبتم فادخلوها خالدين \* وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين \* وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العلمين" [الزمر: ٦٧-٧٥]. وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البخاري قوله صلى الله عليه وسلم "أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، وأنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن". يضاف

إلى ذلك أن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة أجابت الصحابة والعرب وغيرهم من بني البشر عن تساؤلات هامة يطرحها عقل كل إنسان سوى الفطرة من أين أتيت والى أين أنا ذاهب؟ فبين القرآن الكريم لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة النشأة الإنسانية وما هو مطلوب منهم في هذه الحياة؟ وما هو مصيرهم بعد الموت؟ كل هذا وغيره مما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من عقائد وأحكام وعبادات ومعاملات وأخلاق وقصص وإخبار شكلت بالنسبة للصحابة منهج حياة متكامل أحدث انقلاباً في شخصياتهم ونظرتهم إلى أنفسهم والى الكون والحياة.<sup>٤٤</sup> ومن القصص التي تبين المنهج الانقلابي الذي جاء به الإسلام لحياة العرب، هو أن أبي بن خلف جاء إلى النبي (ص) بعظم بال وقال: أتزعّم أن الله يبعث هذا بعدما أرم؟ ويفته أبي ثم ينفخه في وجه رسول الله (ص)، فيجيبه النبي (ص) بقوله: "نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النار!! ويرد عليه القرآن "وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقد [يس: ٧٨-٨٠]. ومن هذه القصة يتضح كيف أن الإسلام جاء للعرب بمنهج وتصور للحياة يختلف جذرياً عما تربوا عليه، ولذلك نلاحظ شدة الإنكار والتعجب لدى أبي بن خلف من هذه المعتقدات الجديدة. وفي هذا السياق يشير خليل إلى أن "شعار (لا إله إلا الله) الذي أمر محمد صلى الله عليه وسلم برفعه في وجه الجاهلية، جاء انقلاباً شاملاً على كل المستويات الدينية والاجتماعية والفكرية والنفسية والأخلاقية والسياسية والسلوكي إذ هو إشعار واضح بضرورة رد الأمر كله إلى الله (الحاكم) و (المشرع)".<sup>٤٥</sup> ومن هنا يتضح أن هذا المتغير وهو متغير العقيدة والمنهج والتصور والقيم التي غرسها القرآن والسنة في النواة والمجموعة الأولى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المتغير الأساس الذي أثر في رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقله إلى الجماعة المؤمنة وكان عاملاً حاسماً في زيادة قوة هذه الدولة الناشئة، مع أن بعض المستغربين من المفكرين العرب يرى بأن هذا المتغير هو أحد أسباب ضعف الأمة العربية والإسلامية، ويرى بأن العقيدة الليبرالية الوضعية بقيمتها وتصوراتها عن الحياة هي البديل الأفضل وهذا لم يحصل إلا لاغترارهم بالحضارة المادية الغربية والتي يتكشف لنا كل يوم إخفاقاتها المتزايدة وخاصة في الجانب الإنساني والقيمي.

وفي سياق متغير المنهج (الشريعة) لابد من الإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً ليقرأ ولا يكتب وفي ذلك إبعاد لشبهة الشك في مصدر القرآن العظيم، وفي هذا يقول الله عز وجل "وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون" [العنكبوت:

[٤٨]. ومما يدل على شدة تأثير المنهج الرباني في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جعلهم شديدي التمسك بهذا الدين ما رواه الحاكم على شرط مسلم أن الصحابي الجليل صهيب الرومي عندما أراد الهجرة قال له المشركون: "أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثير مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك"، فقال لهم صهيب: "أرايتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟" قالوا: "نعم"، قال: "فإني قد جعلت لكم مالي". فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ربح صهيب..." ووافق الألباني الحاكم في تصحيحه للحديث. وعندما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الهجرة إلى المدينة اتخذ كافة الأسباب المادية الممكنة لكي تنجح هجرته وصاحبه ولكي لا يقع في يد المشركين، وفي هذا الفعل منه صلى الله عليه وسلم تشريع للأمة بأهمية الأخذ بالأسباب وأن سنة الله أن السبب إذا وجد المسبب إلا إذا أبطل الله ذلك السبب كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم وهذا يكون معجزة للأنبياء وكرامة للصالحين واستدراجاً للطالحين.<sup>٤٦</sup>

في محاولة لمعرفة كيف نشأت الدولة أو النظام السياسي منذ ما قبل التاريخ وحتى وقتنا المعاصر، يرى فوكاياما أن الدولة الإسلامية بدأت نشأتها عندما استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يستخدم مجموعة من العوامل وهي العقد الاجتماعي الأيدلوجية، القوة، الشخصية الكاريزمية لتوحيد القبائل العربية المتناحرة في دولة تقوم على مجتمع متماسك - (a state-level society) - ولأنه الله فقط ولتعاليم الدين وليس للقبيلة. ويشير فيما بعد أن الدولة الإسلامية الحقيقية والتي تتمتع بسلطة واسعة وجيش وقدرة على فرض الضرائب وتحصيلها لم تظهر إلا في عهد عبدالملك بن مروان (٦٨٥م-٧٠٥م) ويرى أن الدولة الإسلامية لم تتخلص من سمة القبلية التي ميزت المجتمعات العربية قبل الإسلام مما جعل الدولة الإسلامية أثناء وبعد عصر الخلافة تدخل في صراعات قبلية وتأخذ الطابع القبلي.<sup>٤٧</sup> ومع اتفاقي مع فوكاياما على الدور الذي لعبته القبيلة ولا زالت في الدولة الإسلامية العربية إلا أن دراسته للعهد النبوي والتجربة الإسلامية تتسم بالبساطة والسطحية وفي بعض الأحيان تحتوي على أخطاء واضحة مثل ذكره أن فاطمة رضي الله عنها هي بنت لعائشة رضي الله عنها.

إن واجب الدولة الإسلامية أو مقاصد الإمامة تنحصر في أمرين هما: (١) حفظ الدين، (٢) سياسة الدنيا به. ويمثل المقصد الأول حق الله سبحانه وتعالى ويمثل المقصد الثاني حق الأمة على الحاكم. ثم إن الجماعة أو المجتمع المسلم (الأمة) عليها واجبات تجاه إمامها تتمثل في ثلاثة أمور رئيسية هي: (١) حق النصر، (٢) حق الطاعة في غير معصية، (٣) حق المناصحة.<sup>٤٨</sup>

ويتضح مما سبق الترابط الشديد بين المتغيرات الثلاثة الأساسية في بناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي: (١) الشرع (المنهج)، (٢) القيادة، (٣) الجماعة (المجتمع). ثم إنه لا بد من الاستطراد في مسألة هامة في هذا السياق يغلب فيها على عامة الناس وبعض المفكرين إتباع الهوى والعاطفة غير المنضبطة بضابط الشرع وهي الموقف من الإمام أو القيادة في حال الفسق والظلم، وقد يكفي في ذلك الإشارة إلى حديث أم سلمة عند مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ستكون أمراء. فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ. ومن أنكر سلم. ولكن من رضي وتابع" قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا. ماصلوا" ويقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: "فيه معنى ما سبق أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئا من قواعد الإسلام"<sup>٤٩</sup>. ومما يتعلق بالقيادة في الإسلام أهمية طاعة ولي الأمر، وقد اتضح أثر عصيان ولي الأمر على الجماعة عندما خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أميرهم عبدالله بن جبير، وفي صحيح البخاري يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني"، "فينبغي أن يدرك الجميع أهمية الطاعة لولي الأمر في غير معصية الله وأن مصلحة الجماعة في الطاعة"<sup>٥٠</sup>. وهذا لا يعني الخنوع والخضوع وترك المناصحة، بل ينبغي على الإنسان المسلم وأهل العلم والفكر أن يناصحوا ولاية الأمر من حاكم وعالم فيما يتعلق بأمور دينهم ودنياهم، ولكن هذه النصيحة ينبغي أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة واللين وعدم التعدي على ولي الأمر والتشهير به بما قد يؤدي إلى شق صف الجماعة وإحداث الفتنة في بلاد المسلمين والقضاء على المنجزات التي حققتها الدولة المسلمة، كما أن هذه النصيحة لا بد فيها من الإخلاص لله عز وجل وطلب مرضاته ثم طلب التغيير الذي يخدم البلاد والعباد وليس التغيير الذي يدمر البلاد والعباد.

إن اختيار النبي صلى الله عليه وسلم للحبشة كي يهاجر إليها أصحابه يدل على حكمة وصواب نظر وعلى إلمامه وإحاطته بالأمور من حوله، ويدل كذلك على حرصه عليه الصلاة والسلام على الأخذ بالأسباب بالمادية الممكنة لكي تنجو دعوته وينجو أصحابه من الفتنة.<sup>٥١</sup> كما أن النبي (ص) لما قدم إلى المدينة كان هناك أعداء كثر لهذا الدين الجديد من اليهود والمنافقين والمشركين الذين بقوا على دينهم، وكذلك الأعراب المشركون المحيطون بالمدينة من كل جهة. وفي هذا الجو المشحون بالأعداء من كل مكان كان على النبي (ص) أن يتابع بناء دولته، ويقول غابريلي في هذا السياق "لقد كان النصر الذي توصل إليه الرسول ومركزه كنبى صاحب سلطة دينية ورئيس دولة فتية أنشأها هو، نصراً بطيئاً ومحفوفاً بالمصاعب الكثيرة التي يثيرها ضده

أعداء ظاهرون ومستترون"<sup>٢٠</sup>، ولقد واجه النبي (ص) هذه المصاعب والمؤامرات بمهارة سياسية وقيادية فائقة تجلت من خلال "الكتاب الذي وضعه بين المهاجرين والأنصار، والذي وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم"<sup>٢١</sup> وهذا يدل على أهمية الكفاءة لدى القيادة بحيث تكون القيادة على نسبة عالية من الوعي بالبعد الزماني والمكاني الذي تتعامل معه، فقد تكون القيادة متمسكة بشرع الله ولكنها لا تتمتع بالكفاءة المطلوبة لتحمل المسؤولية وإدراك الواقع الذي تعيش فيه.

إن بعض النخب الفكرية والعسكرية وقد تكون هي الأغلب في بعض المراحل التاريخية المعاصرة يرون بأن التدين والعقيدة والقيم تمثل تخلفاً وتراجعاً، ولذلك عندما كنت ضابطاً ناشئاً ومتخرجاً من الكلية العسكرية في بغداد دعيت إلى شرب الخمر ومداعبة الغانيات لكي يرضى عني قائد السرية وقائد الكتيبة وكنا يأمران بالمنكر وينهون عن المعروف وذلك لاعتقادهما شبهة وشهوة أن العسكرية تتناقض مع التدين وأن العسكري المتميز لا يكون متديناً. في حين أن عمر بن عبدالعزيز والذي عد خامس الخلفاء الراشدين عندما قيل له يا أمير المؤمنين: "أقفرت أفواه بنيك من هذا المال، وتركتم فقراء لاشيء لهم. وكان في مرض موته فقال: أدخلوهم علي، فأدخلوهم، وهم بضعة عشر ذكراً، ليس فيهم بالغ. فلما رأيهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بني والله ما منعكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي يأخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين: إما صالح، فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح، فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله...". وفي المقابل يقول القائد العسكري البريطاني الشهير مونتكمري: "هل من علاقة للدين بالقيادة؟... لا يستهوي القائد الكثيرين من الناس إن لم يتحلى بالفضائل الدينية"، فهو يرى أهمية العقيدة المسيحية والقيم النصرانية في نجاح القيادة العسكرية.<sup>٢٤</sup>

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين والنصف الآخر من الأنصار. وقد آخى بينهم على المواساة والتوارث بعد الموت إلا أن الله عز وجل أبطل التوارث وحصره في الأرحام بعد غزوة بدر وذلك في قوله سبحانه "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" [الأحزاب: ٦].<sup>٢٥</sup> ولأهمية تماسك الجماعة المسلمة فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، حتى أن الأنصار قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن شئت فخذ منا منازلنا"، ولا أجمل وأكمل من تصوير القرآن العظيم في قول العظيم سبحانه "والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

خصاصة" [الحشر: ٩]. ومن التطبيقات العملية لذلك ما جاء عند البخاري وغيره من أن سعد بن الربيع قال لعبدالرحمن بن عوف: "إنني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال له عبد الرحمن: "لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة". ثم إن هذه المؤاخاة لم تقتصر على صف الجماعة أو المجتمع بل شملت قيادات الصحابة كذلك فقد آخى عليه الصلاة والسلام بينه وبين علي، وبين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.<sup>٥٦</sup> وهذا يدل على أهمية تماسك القيادة أو النخبة في الدولة الإسلامية.

المتغير الرابع هو الإقليم أو المكان الآمن الذي تستطيع من خلاله القيادة إقامة هذا المنهج وحمائته ودعمه وكذلك حماية الجماعة المؤمنة انطلاقاً من هذا المكان، ولذلك كان النبي (ص) "يبحث عن قاعدة أخرى غير مكة، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية، ويتاح فيها أن تتخلص من هذا التجديد الذي انتهت إليه في مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة، وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديري، كان السبب الأول والأهم للهجرة".<sup>٥٧</sup> كما أن النبي (ص) لم يبعث في طلب الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة حتى مضت هجرته إلى المدينة وبدر واحد والخندق والحديبية وذلك لأن المدينة كانت معرضة للاجتياح من قبل قريش قرابة الخمس سنوات الأولى من الهجرة، ولما اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم على صحابته وأصبحت المدينة قاعدة أمينة للمسلمين بعث في طلب المهاجرين إلى الحبشة. ومما يشار إليه في سياق متغير الإقليم أو المكان أن المدينة كانت مكاناً متميزاً من حيث التحصين الطبيعي الحربي فقد كانت حرة الوبرة مطبقة على المدينة من الناحية الغربية، وحررة واقم مطبقة من الناحية الشرقية، والجهة الجنوبية محاطة بأشجار النخيل والمزارع الكثيفة التي تمثل عائقاً في وجه أي عدو، وكانت الجهة الشمالية هي الناحية الوحيدة المكشوفة وهي التي حصنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق في غزوة الأحزاب.<sup>٥٨</sup> ومما يدل على أهمية الإقليم الآمن أن النبي (ص) لما بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية أمر أصحابه في مكة بالهجرة إلى المدينة وقال: "إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها".<sup>٥٩</sup>

إن النبي (ص) بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة اشتدت عليه عداوة قريش وأذاهم له ولأصحابه ولذلك أصبح يفكر في البحث عن مكان آمن يستطيع أن يقيم عليه سلطة للإسلام يستطيع من خلالها أن يحمي هذه العقيدة وأصحابها وكان أول مكان توجه إليه هو الطائف إلا أنه وجد من أهله الصد والأذى. ولقد عرض النبي (ص) دعوته على كثير من القبائل العربية التي

رفضت نصرته وحمايته، مما جعله يوجه أنظاره وتركيزه على القادمين المدينة المنورة وذلك لأن أهلها يقطنون مع أهل كتاب هم اليهود مما يجعلهم مهينون أكثر من غيرهم لفكرة النبوة والرسالة. ثم إن المدينة المنورة محصنة جغرافيا مما يجعلها صعبة الاقتحام من قبل العدو، وكذلك هي غنية بالموارد الزراعية وتقع على طريق التجارة إلى الشام مما يحقق لأهلها الاكتفاء الذاتي.<sup>٦٠</sup>

والمتميز الخامس هو الدستور فلقد كتب النبي (ص) المعاهدة (دستور المدينة) في فترتين مختلفتين. فقد كتب النبي (ص) المعاهدة بينه وبين اليهود قبل غزوة بدر، وكتب الجزء المتعلق بالمهاجرين والأنصار بعد غزوة بدر. كما أن النبي (ص) أراد من خلال هذه المعاهدة أن تتضح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة، وأن تتحدد الحقوق والواجبات. كما أنه (ص) في هذا الدستور بين طبيعة الأمة المسلمة وأنها أمة واحدة يربطها رابط العقيدة، وبأنها تختلف عن اليهود إلا أن هذا لا يحرم اليهود من حق المواطنة ومن حرية الدين. كذلك تضمنت الوثيقة الإشارة إلى السلطة القضائية العليا في المدينة متمثلة في شخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.<sup>٦١</sup> وقد تضمنت الصحيفة العديد من المواضيع التي درجت الدساتير الحديثة على وضعها فيها، ومنها الإشارة إلى مفهوم الأمة وتحديده في الفقرات الأولى من الوثيقة حيث نصت الوثيقة على أن "المؤمنين والمسلمين من قریش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس"، وبهذا يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أدخل إلى الحياة السياسية العربية مفهوماً جديداً يختلف كلية عن مفهوم القبيلة، وبالتالي فإن كل من اعتنق هذا الدين الجديد يدخل في مفهوم الأمة. واعتبرت الوثيقة اليهود جزءاً من مواطني الدولة، فقد نصت الوثيقة على أنه "من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم... وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين" وبهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر أهل الكتاب من مواطني الدولة الإسلامية لهم حقوق وعليهم واجبات مثل غيرهم داخل المدينة النبوية. كذلك جعلت الوثيقة السلطات الثلاث التشريعية، التنفيذية، القضائية بيد رئيس الدولة ألا وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحي من عند الله.<sup>٦٢</sup> وبهذا يتضح لنا أهمية وجود قانون أو دستور يوضح الأساس التي تقوم عليه الدولة، والعلاقة بين القوى المختلفة المكونة للدولة، والسلطات والصلاحيات، والحقوق والواجبات. كذلك يتضح الخلل لدى شريحة واسعة من الناس وهو اعتقادهم بأن وجود دستور وقانون يحكم الدولة الإسلامية أمر مخالف للشرع، في حين أن وجود دستور أو قانون لا يتعارض مع الشرع كان قائماً في التجربة النبوية بحيث يكون القرآن والسنة النبوية هي المصدر الأعلى فلا يشرع أو يوضع في الدستور ما يخالف الكتاب والسنة. كما أنه ينبغي الإشارة إلى أن



وضع السلطات الثلاث بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان استثنائياً وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مؤيداً بالوحي وقد انقطع هذا الوحي بموته صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فإنه لا مسوغ لمن جاء بعده أن يجمع بين السلطات الثلاث.

إن الوثيقة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين اليهود منذ أكثر من أربعة عشر قرناً لتدل دلالة واضحة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر فيها "حرية العقيدة لغير المسلمين، وحرمة المدينة، وحرمة الحياة وحرمة المال، وبذلك سبق الإسلام إلى تقرير حقوق الإنسان، ورعايتها وحفظها".<sup>٦٣</sup>

المتغير السادس متغير هام وهو الشورى فقد كان النبي (ص) يستشير أصحابه في كثير من الأمور الهامة والحاسمة، كما فعل في استشارته لهم في غزوة أحد. فقد كان النبي (ص) ومجموعة من كبار الصحابة يرون بأن يبقى المسلمون في المدينة ويقاتلون كفار قريش داخلها، ولكن العدد الأكبر من الصحابة وخاصة الشباب أشاروا على النبي (ص) بالخروج وقتال كفار قريش خارج المدينة. وقد استمع النبي (ص) لرأي الأكثرية وخرج من المدينة لقتال الكفار وحصلت الهزيمة بسبب معصية الرماة، ومع هذا يقول الله تعالى لنبيه في معرض سياق غزوة أحد "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر..." [آل عمران: ١٥٩] يقول رشيد رضا "أي دم على المشاورة وواظب عليها، كما فعلت قبل الحرب في هذه الواقعة"<sup>٦٤</sup>. ثم إن الشورى في زماننا لا بد أن تكون ملزمة للحاكم، وأكثر العلماء والمفكرين الإسلاميين في العصر الحديث يرون أن الشورى واجبة "وأنها ملزمة، وعلى الحاكم التقيد بنتائجها، لأن أي رئيس أو مسئول لا يكون عادة عملاقاً بين أقزام، ولكن يكون واحداً من بين نخبة، يقاربونه في الفهم والعلم، وستظل حصيلة آرائهم أكبر من حصيلة رأيه"<sup>٦٥</sup>. وفي هذا المتغير يتضح طبيعة العلاقة بين القيادة والجماعة وبأنها علاقة مودة واحترام وإحساس بالمسؤولية والأهداف المشتركة، وأنها علاقة تكاملية وليست علاقة استبدادية استعبادية لأفراد الجماعة.

وفي ذات السياق وبرؤية مختلفة، يرى محمود شاكر أن الشورى واجبة على الخليفة وفيها نصح للأمة وإتباع لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، وهي لا تتعلق بالأكثرية والأقلية وإنما تختص بأهل الحل والعقد من العلماء الربانيين الذين يبينون الحق للإمام ولو خالفوا رأي الإمام. وإذا اتجهت آراء أغلب أهل الشورى إلى رأي معين فإن الإمام ملزم بإتباعه، إلا أن يرى الإمام أن هناك مصلحة في مخالفة رأي الأكثرية.<sup>٦٦</sup>

إن من أهم المبادئ السياسية في الإسلام مبدأ الشورى وهذا المبدأ له أهمية كبيرة في بنية النظام السياسي الإسلامي. وقد ورد هذا المبدأ في آيتين كريمتين، وذلك في قوله سبحانه في وصف المؤمنين "وأمرهم شورى بينهم" [الشورى: ٣٨]، وفي قوله تعالى أمراً لرسوله الكريم "وشاورهم في الأمر" [آل عمران: ١٥٩]. ثم إن سنة النبي صلى الله عليه وسلم تشرح وتفسر بالقول والفعل ما ورد في هاتين الآيتين الكريمتين. والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بالمشاورة ولكنه غير ملزم بإتباعها لأن الأنبياء يستمدون سلطتهم وشرعيتهم من الله، فشرعية السلطة الدينية والسياسية للنبي صلى الله عليه وسلم مسألة اعتقادية لأن الله عز وجل هو من منحه هذا الحق ولذلك يقول سبحانه "من يطع الرسول فقد أطاع الله" [النساء: ٨٠]، ويقول تعالى "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" [الفتح: ١٠]. أما المؤمنون بعد النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم مأمورون بالتشاور ولا يستطيع أحد منهم سواء الحاكم أو المحكوم أن يدعي أن لديه شرعية سياسية مستمدة من الخالق، فالشرعية السياسية أساسها الخلق (الأمة) وليس الخالق. وفي قضية هل الشورى ملزمة أو معلمة؟ لابد من التفريق بين نوعين من الشورى: (١) الشورى المتعلقة ببناء السلطة وتأسيسها، (٢) الشورى أو المشاورة المتعلقة بأداء السلطة. فالشورى المتعلقة ببناء السلطة لابد أن تكون ملزمة وذلك لتوافر نصوص السنة الدالة على وجوبها ابتداء والزاميتها انتهاء، فقد أخرج الحاكم في المستدرك وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو كنت مستخلفاً أحداً دون مشورة لاستخلفت عليهم ابن أم عبد"، ومن ذلك ما ورد في كتاب السنة لعبدالله بن احمد بن حنبل بسند جيد أنه قيل: يا رسول الله من نؤمر بعدك؟ قال: إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة، وإن تؤمروا عمرا تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم إلى الطريق المستقيم". بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل من يريد شق وتفريق اجتماع كلمة المسلمين، فعند مسلم عن عرفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه"، "ومن المعلوم أنه بدون شورى لن يكون أمر الناس مجتمعا على رجل واحد. ويكفي هذا دلالة على وجوب الشورى المتعلقة ببناء السلطة، والزامية نتیجتها". كما أنه لا يلزم الإجماع على اختيار الحاكم بل يكفي في ذلك تحقق الأغلبية كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ويؤيده فعل الصحابة رضوان الله عليهم. وأما المشاورة ذات الصلة بأداء السلطة وتسيير أمور الدولة فهي واجبة ابتداء وقد تكون نتیجتها ملزمة أو معلمة للحاكم بحسب الحالة. فتكون واجبة ابتداء و نتیجتها ملزمة للحاكم في الأمور الكبيرة وذات التأثير الخطير على الأمة مثل إعلان الحرب، وإبرام الصلح وغيرها من الأمور التي تمس كافة الأمة.

وكذلك هي واجبة ابتداء ونتيجتها غير ملزمة للحاكم في الأمور التي تدخل في إطار صلاحيات الحاكم مثل تعيين الولاة وعزلهم وما شابه ذلك . والحالة الثالثة تكون فيها المشاورة غير واجبة وغير ملزمة وذلك فيما يتعلق بالأمور الشخصية للحاكم.<sup>٦٧</sup> وفيما أرى فإن هذا التفصيل في مسألة الشورى من أطف وأدق ما قرأت حول هذه المسألة ذات الأهمية الكبيرة في حياة المسلمين. ثم إنه يدخل في قضية ملاحظة الشورى كمتغير النظر إلى فاعلية هذا المفهوم والمؤسسة من عدمها، فإنه بالنظر إلى هدي النبي (ص) كانت الشورى فاعلة ومؤثرة في الدولة الإسلامية، فمع أنه (ص) مؤيد بالوحي فقد أخذ برأي الأغلبية المخالفة لرأيه في قرار مصيري كان له تبعات ثقيلة عليه (ص) وعلى الدولة الإسلامية وهو قرار الخروج للحرب في غزوة أحد.

المتغير السابع هو القوة العسكرية - الجيش- ومالها من دور في بناء قوة الدولة في التجربة النبوية. فقد جاء الإذن من الله عز وجل لأهل الإيمان بقتال الكفار وذلك في قوله سبحانه "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير" [الحج: ٣٩]، وبعد الإذن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تدريب الصحابة على فنون القتال والحروب وشارك معهم في التمارين والغزوات والمعارك. واستخدم عليه الصلاة والسلام التوجيه المعنوي القيمي وذلك بربط هذا القتال والدفاع عن الإسلام والمسلمين بالمنهج الرباني وبأن هذا الجهاد من أعظم القربات إلى الله عز وجل ولذلك نجده عليه الصلاة والسلام يقول كما ورد في البخاري "والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحياء، ثم أقتل ثم أحياء، ثم أقتل" ، وغيره من الأحاديث الكثيرة التي تشير إلى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالجانب المعنوي والقيمي للجهاد. أما الجانب الآخر الذي اهتم به رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو جانب التدريب العملي فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على التدريب على صنوف القتال وإجادتها ومن ذلك ما ورد في صحيح مسلم من أنه عليه الصلاة والسلام قال "من علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصي" ، ويقول سبحانه وتعالى "يا أيها الذين ءامنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً" [النساء: ٧١] وهذا يدل على وجوب الأخذ بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء، "ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان، وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة، وكيفية استعمالها...إلا أن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع، والعدو يقل ويكثر، ويضعف ويقوى". وبالتالي فإن القوة العسكرية بكافة أشكالها أحد أهم المتغيرات في بناء قوة الدولة في تجربة النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا يمكن بناء هذه القوة العسكرية

المؤثرة بدون اهتمام بالجانب القيمي الذي يحمله أفراد هذه القوة العسكرية، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام كما ورد في صحيح مسلم إذا بعث جيشاً يقول لهم " انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين".<sup>٦٨</sup>

إن للقتال في الإسلام أهدافاً سامية حددها القرآن بشكل واضح ودقيق، وأظهرها الرسول (ص) في معاركه التي خاضها مع أهل الكفر. من هذه الأهداف دفع الظلم وحماية المؤمنين من القتل والتشريد، يقول الله عز وجل "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير" [الحج: ٣٩]. ومنها كذلك منع تهديم أماكن العبادة من مساجد وصوامع وغيرها، تمكين المؤمنين من القيام بالعبادة، وذلك واضح في قوله سبحانه "الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله قوي عزيز" [الحج: ٤٠]. ومنها كذلك رد اعتداء المعتدين ومنعهم من فتنة أهل الإيمان، وتأمين حرية الدعوة إلى هذا الدين القويم، يقول سبحانه "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين" [البقرة: ١٩٣].<sup>٦٩</sup> وهنا يتضح أن متغير القوة العسكرية مرتبط بالمنهج الشرعي الذي تربت عليه القيادة والجماعة، وهذا المنهج لا يحث على تكوين القوة العسكرية كقوة مادية من أجل الاستبداد والتوسع والقهر، وإنما يستخدم هذه القوة المادية في نشر القيمة التي تحملها القيادة والجماعة. كذلك إن هذا المنهج الشرعي يدرك تماماً بأن هذا الدين بقيادته وجماعته سوف يكون مستهدفاً من الأعداء وبالتالي لابد من إعداد القوة العسكرية المادية من أجل ردع الأعداء وتأييدهم وتأمين نشر الدعوة إلى دين الله عز وجل. وفي هذا السياق يقول معطي "أما حروب العصبية العنصرية والمطامع الشخصية والأمجاد الزائفة، وحروب الاستعمار والاستغلال التي مارستها وتمارسها بعض الشعوب والأمم فلا يدعوا إليها الإسلام... ولم يمارسها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كل غزواته ومعاركه التي خاضها في حياته".<sup>٧٠</sup> وفي إطار متغير القوة العسكرية، كان رسول الله (ص) يحث المسلمين على أن يعتنوا بالسلاح والتدريب عليه وعلى كل ما يعزز قوة المسلمين في المعركة، فقد قال (ص) كما في صحيح البخاري "من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريه وروثه في ميزانه يوم القيامة"، وفي صحيح مسلم قوله (ص) "من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصي". وكان لرسول الله (ص) سياسته في المعركة والتي تتضح من خلال وصاياه لجيشه، فقبل أن ينطلق جيش المسلمين لمقاتلة جيش الروم في

مؤته قال لهم (ص): "أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلًا ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناءً".<sup>٧١</sup>

وفي سياق متغير الجيش فقد أرسل رسول الله (ص) عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش في الأردن لكي يتعلموا صناعة العرادات والدبابات والمنجنقات وهي أضخم الآلات الحربية في ذلك الوقت، وذلك لكي يقوموا بتصنيعها في المدينة، وقد استخدم النبي (ص) هذه الآلات في حروبه في الطائف.<sup>٧٢</sup> وهذا يدل على أهمية التصنيع والاكتفاء في عملية التسليح بحيث لا يحتاج المسلمون في قتالهم إلى الكفار.

وفي غزوة بدر كان عدد جيش المسلمين قرابة الثلاثمائة وليس معهم سوى فرسان وسبعين بعير، في حين كان عدد جيش المشركين قرابة الألف، وقد نصر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته وأيدهم بجند من عنده لما صدقوا مع الله.<sup>٧٣</sup>

وفي سياق غزوة أحد لم يكن نصر الله عز وجل وتأيده ليتنزل إلا على من استوفى واستكمل الأسباب البشرية الكفيلة بتحقيق النصر، وبدون ذلك "لن تتنزل معونة الله حتى لو حبسوا أنفسهم في المساجد ليلاً ونهاراً". وفي المقابل عندما قام المسلمون في غزوة الخندق بتحقيق الأسباب البشرية الممكنة من حفر الخندق والاستعداد للقتال وبث العيون واستخدام الحيلة، فإن نصر الله سرعان ما تنزل رياحاً شديدة باردة أجبرت المشركين على الرحيل في خيبة أمل وذلة. أما غزوة مؤتة والتي كان ظاهرها الهزيمة بانسحاب المسلمين من أرض المعركة، فلم تكن كذلك بل كانت بؤادر النصر فيها أكثر من الهزيمة حيث استطاع الجيش المسلم المكون من ثلاثة آلاف جندي أن يصمد أمام مائتين ألف من الروم وأن ينسحب من أرض المعركة بعد أن خسر اثني عشر رجلاً فقط، وذلك بفضل حنكة خالد بن الوليد. وقد عرف المسلمون من خلال هذه المعركة قدرات الجيش الروماني وأساليبهم القتالية، وكسروا هيبة أقوى دولة في العالم. وكانت غزوة تبوك بعد ذلك إعلاناً واضحاً للروم بقوة المسلمين وبأن منطقة نفوذ الدولة الإسلامية أصبح يمتد ليشمل مناطق عديدة في أرض الشام.<sup>٧٤</sup>

في غزوة أحد ماذا حدث؟ ألم تكن المتغيرات الثلاثة الأساسية متوفرة؟ بلى، ولذلك كان النصر حليف المسلمين في البداية، ولكن حدث خلل واضح في المتغير الثالث وهو الجماعة الملتزمة، حيث ضعف التزام الصحابة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم. فلقد كانت زلة الرماة

ومعصيتهم لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام سبباً في ما أصاب المسلمين من خسارة في هذه الغزوة، ويسجل تلك اللحظات ما جاء في قوله سبحانه وتعالى "ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين" [سورة آل عمران، ١٥٢]. أما في غزوة الأحزاب فقد كانت القيادة متمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم واعية ملتزمة وحكيمة وكذلك كانت الجماعة المؤمنة التي أشار أحد أفرادها وهو سلمان الفارسي بحفر الخندق في أحد جهات المدينة. وكانت القوة العسكرية للمسلمين مع قلتها مقارنة بالمشركون أفضل استعداداً للمواجهة. وفي هذا السياق يقول الله عز وجل "يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً" [سورة الأحزاب، آية: ٩]، ويقول كذلك سبحانه وتعالى "ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً" [سورة الأحزاب، آية: ٢٥].<sup>٧٥</sup> وهنا نلاحظ متغيراً قد لا يمكن تضمينه في النظرية الإسلامية لبناء قوة الدولة وإن كان يدخل ضمناً في متغير المنهج ألا وهو قوة الله عز وجل والتي كانت حاسمة في هزيمة المشركين في غزوة الأحزاب، وهذا العون من الله عز وجل حصل بعد أن حقق المسلمون أسباب النصر الدنيوية بقدر استطاعتهم. مع أن هذا المتغير غير المادي وغير المحسوس أو الغيبي يؤمن به غير المسلمين من النصارى واليهود وغيرهم من الديانات ويؤمنون بهذه القوة وأثرها، إلا أن النزعة المادية الحسية طغت في كثير من مجالات العلوم وبالأخص العلوم الاجتماعية وبالتالي لا ترى ذكراً لمثل هذا المتغير في بناء النظريات الإنسانية.

ومن الحكم والفوائد التي احتوت عليها غزوة أحد أن الله عز وجل عرّف المؤمنين بعاقبة المعصية والفشل والتنازع وأن ما أصابهم كان بسبب تلك المعصية وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى "ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم" [آل عمران: ١٥٢].<sup>٧٦</sup> وإنني اعتقد بأن في هذه الآيات من الخالق العليم ما يدل دلالة واضحة على أن المتغير الأساسي في بناء قوة الدولة ليس البعد المادي وإنما هو البعد القيمي الذي حمّله الإسلام، وفي هذا دحض لكثير من الطرح الفكري الغربي التنموي التحديثي وكذلك تعريف قوة الدولة في نظريات العلاقات الدولية الغربية الذي يركز على الأبعاد المادية وخاصة

الاقتصادية والعسكرية ويهمل غيرها من الجوانب. ثم إن كلام العظيم سبحانه وتجربة العهد النبوي يشير إلى ويعزز ما طرحناه في النموذج النظري المقترح لبناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي. ومما يعزز هذا الطرح ما أشار إليه ابن القيم أن الله عز وجل يمتحن عباده بالهزيمة لكي ينكسروا ويذلوا له ويخضعوا "فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار"، كما قال تعالى "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة" [آل عمران: ١٢٣]، وقال في المقابل سبحانه "ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً" [التوبة: ٢٥].<sup>٧٧</sup>

وفي غزوة حنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرابة عشرة آلاف مقاتل وقيل اثني عشر ألف فيهم عدد كبير ممن أسلم حديثاً بعد فتح مكة. وقد قال بعض الصحابة على الخلاف فيمن قال ذلك "لن نغلب اليوم من قلة" فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعندما نزل النبي صلى الله عليه وسلم مع وادي حنين في أول الفجر اندفع العديد من صغار الصحابة في أول الجيش فشدت عليهم كتائب هوازن التي اختبأت لهم في شعاب الوادي شدة رجل واحد فولوا مدبرين منهزمين لا يلوون على أحد. وقد ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فداه نفسي - عندما ولى القوم مدبرين واقتحم ببغلته على العدو وطلب من عمه العباس رضي الله عنه أن ينادي في المهاجرين والأنصار لكي يعودوا ويثبتوا فناداهم العباس فما هي إلا ساعات وكانت الدولة والنصر للمسلمين على هوازن. وقد قال الله عز وجل في شأن هذه الغزوة "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين" [التوبة: ٢٥-٢٦].<sup>٧٨</sup> وهنا يتضح تهوي القوة المادية من كثرة العدد والعدة عندما ضعف تأثير المتغير الأساسي - الشرع - في كثير ممن أسلم حديثاً وشارك في غزوة حنين.

المتغير الثامن الذي يمكن استقرائه من التجربة النبوية الشريفة هو البعد الاقتصادي (الثروة)، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما قدم إلى المدينة اهتم بأكثر من جانب اقتصادي حيث استحدث نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وقام ببناء الصفة التابعة للمسجد النبوي من أجل الاهتمام بفقراء المسلمين. كذلك أدرك النبي عليه الصلاة والسلام أن القوة الاقتصادية بيد اليهود من خلال سوقهم التجاري، ولذلك قام عليه الصلاة والسلام بإنشاء سوق جديدة للمسلمين غرب المسجد النبوي خطه برجله وقال: "هذا سوقكم فلا ينتقصن، ولا يضربن عليه خراج". وقد قام السوق في عهده واعتنى به عليه الصلاة والسلام وسن له آداباً وضوابطاً وطهره من كثير من

بيوع الجاهلية المشتملة على الغبن والغرر والغش والخداع.<sup>٧٩</sup> ثم إن النظام الاقتصادي الإسلامي لا يقوم على منفعة الفرد فقط بل هو نظام مرتبط بقيم المنهج من الصدق والأمانة والرحمة والسماحة ورجاء الآخرة في كل عمل، ولا يهمل مصلحة الجماعة بل في هذا المنهج الرباني ترابط وثيق بين مصلحة الفرد والجماعة. ولذا فإن الغني من المسلمين عليه أن يدفع زكاة ماله لتذهب في مصارفها الثمانية التي حددها الشارع العظيم، وكان النبي (ص) يرسل عماله ليقبضوا الزكاة ثم ينفقها رسول الله (ص) على الفقراء من المسلمين وغيرهم. ثم تأمل حكمة الخالق سبحانه وتعالى عندما حرم الربا وأحل البيع، وانظر في المقابل إلى النظام الرأسمالي المتوحش وأزماته المتلاحقة حيث دمرت الأكثرية لمصلحة الأقلية من الأغنياء.

### سادساً: مفهوم القوة في التجربة الغربية:

إن مفهوم القوة كان ولا زال مفهوماً مشكلاً وعويصاً في حقل العلوم الاجتماعية. ويرى مانكر أولسون (Mancur Olson) أن نظرية القوة تمثل الكأس المقدس للعلوم السياسية إلا أن هذا الكأس لم يوجد بعد (ص. ١٥-١٧). ومع هذا فإن محاولة تعريف مفهوم القوة بدأت منذ أرسطو وامتدت لتشمل ميكافيلي وهوبز وويبر وغيرهم كثير. فعلى سبيل المثال، يرى هوبز أن قوة الرجل تعني وسائله وإمكانياته لتحقيق مستقبل جيد، في حين يعرف لوهمان (Luhmann) القوة في القرن العشرين على أنها وسيلة للاتصال. وهناك تعريفات مختلفة ومتعددة لمفهوم القوة ويشير بعض الباحثين أن هذا المفهوم هو مفهوم متنازع على تعريفه (contested concept) وبعضهم يشبه مفهوم القوة بمفهوم الدراجة (bicycle concept) أي أنه واضح في الاستعمال ولكن عندما تدقق فيه وآلية عمله فإنك قد تقع من هذه الدراجة. وفيما يتعلق بقياس القوة فإنه من الطبيعي أن نسمع بعض الناس يتكلم عن من يمتلك أو يمارس قوة كبيرة أو متوسطة أو قليلة. وبالتالي فإنه يمكن التفكير في قياس القوة بطريقة كمية ترتيبية. ثم إن الكيفية التي تقاس بها القوة يعتمد على العناصر التي تدخل في حساب الناتج النهائي للقوة (outcome).<sup>٨٠</sup>

إن مجموعة من علماء السياسة والاجتماع كانوا مهتمين بدراسة القوة (Power) من حيث فهمها بشكل نظري ثم كيف يمكن دراستها بشكل امبريقي تجريبي؟ إنه يجب التفكير بموضوع القوة وفهمها بطريقة واسعة وشاملة غير محدودة وضيقة بحيث يتم إدراك أن هناك ثلاثة أبعاد للقوة وأن أهم عناصر القوة وأكثرها تأثيراً هو الجانب غير المدرك والملاحظ فيها. ويؤكد شارلز رايت ميلز (Charles Wright Mills) على الدور الهام والأساسي الذي تلعبه



القيادة والنخبة في اعتبارات وحسابات القوة، ويرى أن المكانة أو الموقع الذي يحتله صانع القرار في أعلى الهرم الاجتماعي يعطيه قوة وقدرة عالية في التأثير على حياة كل رجل وامرأة في هذا المجتمع. في حين يرى فلويد هنتر (Floyd Hunter) أن القيادة أو النخبة كأحد أهم عناصر القوة في المجتمع تستطيع أن تجعل الطبقات الأدنى في المجتمع أن تطيع وتتبع قرارات القيادة من خلال العديد من الوسائل مثل التحذير، التهديد، وفي بعض الحالات قد تلجأ القيادة لاستخدام العنف. كما قد تلجأ القيادة في بعض الحالات ومن أجل الحصول على الخضوع والإتباع إلى العزل والاستبعاد لبعض الطبقات أو الأفراد من كافة أو بعض وسائل الدعم بما فيها الحرمان من العمل والدخل. ثم إن القيادة في الغالب تتبع مبدأ قسم أو فرق واحكم (divide and rule). ثم إنه في الغالب يكون هناك اتفاق بين النخبة على المسائل الكبرى في المجتمع وخاصة ما يكون له علاقة بالأيولوجية الثقافية للدولة بحيث لا يكون هناك تهديد من الطبقات الدنيا للقيم المتفق عليها من قبل النخبة. كما يرى غرامشي (Gramsci) أن الثورة لم تحصل في الغرب الرأسمالي مع استغلاله للطبقات الدنيا بسبب سيطرة النخبة البرجوازية على أدوات صنع الأيدلوجية والثقافة والقيم في المجتمع مما يحقق لها القبول من قبل الطبقات المختلفة داخل المجتمع. كما أن هناك جانب مادي مصاحب لهذه السيطرة الأيدلوجية وهو أن الحكوميين يتبعون القيادة داخل النظام الرأسمالي مادام أن مصالحهم ومطالبهم المادية متحققة داخل هذا النظام.<sup>١</sup> وهذا الطرح يؤكد ما ذهبنا إليه في نموذجنا النظري من اعتبار القيادة في تجربة العهد النبوي متغير أساسي في بناء قوة الدولة الإسلامية.

لا يمكن فهم القوة بالتركيز على سلوك صانع القرار فقط وبالتالي فإن ما ذهب إليه روبرت دال ومن تبعه في المنهج التعددي وغيرهم من التركيز على بعض أبعاد القوة وإهمال أبعاد أخرى لا يفيد كثيراً في تعريف هذا المفهوم الهام والحيوي. أن القوة يمكن فهمها وإدراكها من خلال التركيز على مجموعة من الأبعاد هي: (١) عملية صنع القرار والسيطرة على جدول الأعمال السياسي، (٢) المسائل الهامة والمحتملة في النظام السياسي، (٣) ملاحظة الصراع سواء كان ظاهراً أو مختفياً وعلى ماذا يكون هذا الصراع داخل النظام السياسي، (٤) المصالح الموضوعية والحقيقية والمصالح غير الموضوعية.<sup>٢</sup> ويرى إيريك وولف (Eric Wolf) أنه يمكن التفكير في القوة على أنها عبارة عن علاقات وهي جزء مهم في العلاقات الإنسانية. ويمكن التفريق بين أربعة أشكال من القوة هي:

(١) القوة موجودة داخل الفرد.

(٢) القوة تعني القدرة على فرض رغبتك على الآخرين.

(٣) القوة تعني السيطرة على البيئة والمحيط الذي يتفاعل فيه الناس.

(٤) القوة البنيوية (Structural Power) وتعني القوة التي تتضح في العلاقات بين اللاعبين بحيث تحدد هذه العلاقات البنية والبيئة والنظام وتوزيع ومسار القوة داخل هذه البنية.

وقد لا يكون هناك فائدة من وضع نظرية عامة ومجردة للقوة بل قد يكون ذلك مستحيلاً وذلك لأنه لا يمكن تحليل القوة وعلاقاتها إلا بعد حدوث الحدث كما أشار إلى ذلك روبرت دال. ويرى وولف أن هناك اعتماد وعلاقة قوية بين الأفكار (Ideas) والعلاقات الاجتماعية والقوة، كما يؤكد على العلاقة القوية بين الأفكار والقوة داخل أية مجتمع.<sup>٨٣</sup>

إن أحد أهم المفاهيم في العلوم السياسية هو مفهوم القوة والذي يصعب تعريفه نظرياً وعملياً. ولقد فشل كل من مورقينثا ووالترز في تعريف القوة بشكل واضح ومفيد. ثم إن أغلب المنظرين الواقعيين والليبراليين يعرفون القوة بالاستناد على القدرات المادية للدولة كالجيش والاقتصاد والمساحة الجغرافية وغيرها من العناصر المادية. ولكنني أرى أن القدرات المادية هي أحد العناصر المكونة لقوة الدولة والعناصر الأخرى تتكون من الهوية والأفكار والقيم السائدة في المجتمع، والتفاعل والتداخل المعقد بين هذه العناصر المادية والمعنوية هو ما يشكل قوة الدولة.<sup>٨٤</sup>

يرى ميشيل فوكو (Michel Foucault) أن لدينا في أية مجتمع مثلث يتكون من: القوة (power)، الصواب (right)، الحقيقة (truth)، ويتساءل عن القوانين التي تحدد الصواب والتي تفرضها علاقات القوة في المجتمع لكي تنتج بعد ذلك خطاب (discourse) يدعي امتلاك الحقيقة. توجد في كل المجتمعات علاقات قوة تخترق وتكون البنية الاجتماعية وتحاول صياغة هذا المجتمع، ثم إن علاقات القوة هذه لا يكمن إيجادها أو خلقها ولا استمرارها وتوظيفها من غير إنتاج وتراكم وتوظيف الخطاب. لذا لابد أولاً من إنتاج خطاب الحقيقة في أية مجتمع ثم بعد ذلك وبناء على هذا الخطاب نضع القوانين والقواعد التي تنظم حياتنا حتى الجانب الاقتصادي والثروة لا يمكن تخيلها قبل إنتاج هذا الخطاب، بل إن خطاب الحقيقة يحدد كيف يعيش ويموت المرء. وبالتالي فنحن نعيش تحت قوانين القوة، وقوة خطاب الحقيقة. فعلى سبيل المثال، كانت أوروبا في العصور الوسطى تحت سيطرة الملوك ولذا فإن القوة التي يمتلكها الملك داخل المجتمع هي التي حددت الحق والصواب والقانون الذي يحكم هذا المجتمع، فالصواب والحق في الغرب في ذلك الوقت- هو ما يراه الملك صواباً (Right in the West is the King's right). إن

البرجوازيين في المجتمعات الغربية وغيرها من المجتمعات والذين في الغالب يقودون الدولة لا يهتمهم محاربة الفقر والحرمان والجريمة وغيرها من مشاكل المجتمع بقدر ما يهتمهم المحافظة على القوة وإخضاع المجتمع لقوتهم من خلال العديد من الوسائل مثل البرلمان، ومؤسسات التعليم، والإعلام وغيرها من الوسائل. ثم إن أحد أهم وسائل المحافظة على القوة في المجتمع هو إنتاج الأيدلوجية المناسبة والتي تكون مصاحبة لاستخدام القوة والسيطرة على المجتمع. ثم ما هي علاقة القوة بالمعرفة (power and knowledge)، وبشكل أوضح ما هي علاقة الفيزياء النظرية أو الكيمياء العضوية بالبنية السياسية والاقتصادية للمجتمع؟ سؤال من الصعب الإجابة عليه ولكن قد تصبح الإجابة ممكنة إذا أخذنا حقلاً علمياً مثل علم النفس أو الطب ودرسنا الممارسات داخل هذا الحقل وعلاقة هذا الحقل علمياً وعملياً بأيدلوجية المجتمع، والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي، وعلاقة ذلك كله بالقوة ومن يسيطرون عليها داخل هذا المجتمع. ثم إنه لا يمكننا التفكير في القوة على أنها شيء محسوس وثابت، ولكن القوة في الواقع والتحليل السليم تعني العلاقات سواء كانت هذه العلاقة منظمة أم لا.<sup>٨٥</sup>

### سابعاً: متغيرات بناء قوة الدولة في النظريات الغربية:

لا يمكن فهم تاريخ أي مجتمع وبالتالي التاريخ البشري ككل بالنظر إليه على أنه وحدة متكاملة ونظام اجتماعي مستقل سواء قلنا بأن هذا المجتمع مفتوح أو مغلق، فليس هناك ما يعرف بالنظام الاجتماعي. من ذلك يمكن القول أنه ليس من المناسب الزعم بأن هناك أفعال للأفراد أو المجتمع وهناك بنية للمجتمع مستقلة أو مقيدة لهذه الأفعال. لهذا فإن الأصح هو النظر والتعامل مع التاريخ البشري على أنه مجموعات أو شبكات من القوة (intersecting power networks) تتقاطع وتتداخل فيما بينها لتكون المتغيرات الأساسية في تشكيل هذا المجتمع أو ذاك. ولكي نفهم بنية أي مجتمع وتاريخه وتطوره فإنه لابد لنا من التركيز على العلاقة والتداخل بين أربعة مصادر أساسية للقوة الاجتماعية (the four sources of social power) وهي: (١) الأيدلوجية (ideology)، (٢) الاقتصاد (economy)، (٣) الجيش (military)، (٤) السياسة (politics) وهو ما يمكن اختصاره بـ (IEMP). إن المجتمعات البشرية بل كل إنسان في الغالب يبحث عن تحقيق أهداف معينة في الحياة تحقق له السعادة والاستمتاع بهذه الحياة ومن أجل تحقيق هذه الأهداف فإن الناس تطور وسائل وآليات تتقاطع فيها المجموعات البشرية لكي تكون منظمات أو منظومات اجتماعية سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو أيدلوجية لتمثل مصدر القوة

في هذا المجتمع في مرحلة من مراحل التاريخ البشري.<sup>٨٦</sup> وهذا الطرح النظري لعالم الاجتماع مايكل مان (Michael Mann) في فهم مصدر القوة الاجتماعية لأية حضارة أو دولة والذي جاء في ثلاث مجلدات ضخمة غطت اغلب التاريخ البشري يقترب إلى حد كبير من النموذج النظري المقترح في هذه الدراسة لفهم بناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي، واعتقد أن النموذج النظري للعهد النبوي يتفوق على النموذج النظري الذي طرحه مان في دراسته.

قوة الدولة سواء على المستوى الداخلي أو في الخارج هي نتيجة التقاطع أو العلاقة بين اقتصاد الدولة وإستراتيجيتها. كل الدول أو الأمم العظمى مرت بفترات من تصاعد قوتها أو انخفاض قوتها وذلك تبعاً لاختلاف معدل نموها الاقتصادي وعلاقة ذلك بالتكنولوجيا والتنظيمات الداخلية والخارجية للدولة وارتباط ذلك كله بقوة الجيش. فالدولة العظمى بحاجة ماسة للثروة لبناء جيش قوي، والجيش القوي هو آلة الدولة العظمى للحصول على الثروة وحمايتها.<sup>٨٧</sup> ويرى فوكاياما أن قوة الدولة لا يمكن أن تتحقق أو تزداد إلا من خلال إنشاء مؤسسات سياسية واقتصادية فاعلة تستند إليها الدولة في تحقيق التنمية والتطوير، ثم إنه ينبغي أن يتم بناء الدولة في العالم النامي على مبادئ الليبرالية الغربية والتي زادت من قوة الدولة الغربية ومن رفاهية المجتمعات الغربية، ويثير إشكالية تفاوت الثقافات والقيم في المجتمعات غير الغربية إلا أنه يميل إلى تفرد وتميز النموذج الليبرالي الأمريكي والأوروبي الغربي.<sup>٨٨</sup>

يرى عالم الاقتصاد الهندي - البنغالي امورتو شن (Amartya Sen) والحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٩٨م أن العالم الذي نعيش فيه اليوم يعيش وفرة وتقدم لم يسبق لها مثيل، وفي مقابل هذا التقدم هناك العديد من المآسي والمشاكل التي تعاني منها دول العالم الغنية والفقيرة على حد سواء مثل الفقر، والحرمان، وانتهاك حقوق الإنسان الأساسية وخاصة المرأة، والاضطهاد السياسي والاجتماعي، وتدمير البيئة التي نعيش فيها، وغيرها من مشاكل التنمية التي تعاني منها أغلب الدول. والتغلب على هذه المشاكل التي تعاني منها كل دول العالم وبدرجات مختلفة هو جوهر عملية التنمية. ولكي نتغلب على هذه المشاكل التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة فإنه ينبغي إدراك أهمية الحرية الفردية في كافة المجالات سواء السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو غيرها من المجالات؛ إن حرية الفرد في مقابل الدولة والمجتمع أداة وغاية في ذات الوقت في تحقيق تنمية متوازنة ومستدامة ولمعالجة المشاكل التي تعاني منها العديد من دول العالم. لذا فإن التركيز في أدبيات التنمية وفي الواقع الفعلي للكثير من الدول على الجانب الاقتصادي مثل الناتج الإجمالي للدولة، ودخل الفرد، وكذا التركيز على عملية التحديث،

والتصنيع، والتقنية، والتعليم، وغيرها من الجوانب التي لا ينكر أحد أهميتها في تنمية أية دولة إلا أن هذه الأبعاد للتنمية بدون تعزيز حرية الفرد داخل الدولة تظل تنمية ناقصة ومشوهة. فعلى سبيل المثال، لا أحد ينكر أهمية حرية السوق في نمو وتقدم الجانب الاقتصادي لأية دولة، ولكن هذه الأهمية يأتي قبلها أهمية حرية الفرد في تبادل الكلمات والأفكار، والبضائع، والهدايا. وفي سياق أهمية الحرية الفردية بكافة أنواعها، أذكر أنني عندما كنت صغيراً في سن العاشرة والعب في حديقة بيتنا في دكابينجلاديش دخل على شخص يصرخ وهو ينزف دماً من ظهره ويطلب المساعدة وأحضرت له الماء وصرخت لأهلي لكي يساعدوه وقد كان شخصاً مسلماً تم طعنه من قبل بعض الجماعات الهندوسية في ذلك الوقت المضطرب من تاريخ الهند وقد أخذه والذي إلى المستشفى ولكنه غادر الحياة بعد ذلك. لقد نصحته زوجته بعدم الذهاب إلى هذه المنطقة المليئة بالهندوس في ذلك الوقت المضطرب إلا أنه أصر على ذلك لعدم وجود مكان آخر لكسب لقمة العيش وقد كانت أسرته في حاجة ماسة. عدم توفر الحرية الاقتصادية لهذا الشخص وغيره من ملايين الناس حول العالم تقودهم في بعض الأحيان إلى الموت. وغياب الحرية الاقتصادية يعزز الفرصة لغياب الحريات الأخرى مثل الحرية السياسية، والحرية الاجتماعية، والحرية الإعلامية، وغيرها، كما أن غياب الحرية السياسية يعزز الفرص لغياب الحريات الأخرى. ثم إنه لا بد من إدراك أن ممارسة الحرية وتعزيزها داخل أية مجتمع لا يمكن أن يحصل إلا من خلال القيم والعادات التي يؤمن بها هذا المجتمع.<sup>٨٩</sup> وإنني اعتقد أن الإسلام وتجربة بناء قوة الدولة الإسلامية في العهد النبوي كما أوضحنا في النموذج النظري المبني على دراسة الحالة التاريخية للعهد النبوي قد سبقت أمور توشن في التأكيد على أهمية القيم (المنهج) في بناء الدولة الإسلامية ومن ضمن هذه القيم الكبرى في هذا المنهج قيمة الحرية الدينية لمواطني الدولة الإسلامية وما تتضمنه من حريات أخرى، كما جاء في قول الله عز وجل "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" [البقرة: ٢٥٦]، وقوله سبحانه "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" [يونس: ٩٩] وقد تعايش النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود والمشركين وضمن لهم حريتهم وحقوقهم، ومن أكبر الأدلة المعاصرة على ذلك - مع الخلل في فهم كثير من المسلمين للإسلام اليوم- بقاء الكنيسة القبطية والنصارى بين المسلمين منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإلى اليوم.

في بداية القرن الحادي والعشري أصبح مفهوم القوة أهم بكثير مما مضى وأصبح أكثر جدلية. إن قوة الدولة يمكن النظر إليها من خلال ثلاثة مستويات هي: (١) المصادر أو القدرات (resources or capabilities)، (٢) كيف يمكن تحويل هذه القوة والاستفادة منها من خلال

السياسات والعمليات الوطنية، (٣) نتيجة هذه القوة أو من الدولة التي استطاعت أن تتفوق في حالة معينة. هناك نوعان من القوة هي: (١) القوة الصلبة (**hard power**) وتتكون من: (أ) عدد السكان، (ب) التكنولوجيا، (ج) الاقتصاد، (د) الجيش

(٢) القوة الناعمة (**soft power**) وتتكون من: (أ) الأفكار (**ideas**)، (ب) الثقافة أو الحضارة (**culture**).

ثم إن مجموعة من الباحثين الاستراتيجيين والمهتمين بالقوة الأمريكية والدول التي من الممكن أن تنافس الولايات المتحدة الأمريكية يرون أن القوة العسكرية ستظل إلى عام ٢٠٢٠م أهم عنصر من عناصر قوة الدولة وأهم مؤشر على القوة العسكرية للدولة هو ميزانية الدفاع التي تخصصها الدولة للجيش، ثم يتبعها مؤشرات أخرى أقل أهمية مثل حجم الإنفاق على القوات البرية، والجوية، والبحرية. ولابد من إدراك أن القوة الاقتصادية هي الأساس التي تقوم عليها القوة العسكرية وأهم مؤشر للقوة الاقتصادية للدولة هو الناتج المحلي الإجمالي (**GDP**).<sup>٩</sup> ومع التغيرات التكنولوجية والتغيرات الاجتماعية الهائلة التي تحدث في كثير من مناطق العالم أصبح فهم وقياس القوة القومية للدولة الأمريكية وغيرها من الدول بشكل دقيق أمراً في غاية الأهمية لصانع القرار الأمريكي وللجيش والاستخبارات الأمريكية ولموقع أمريكا في النظام الدولي. لقد كانت طريقة قياسنا لقوة الدولة في السابق يعترها كثيراً من الخلل فلقد سقط الاتحاد السوفييتي مع أن قياساتنا توضح عكس ذلك كما هزم الجيش العراقي بشكل مفاجئ وسريع مع أن قياساتنا تشير إلى أنه أقوى من ذلك. كل ذلك يؤكد على أن المؤشرات التي نستخدمها في قياس قوة الدولة في النظام الدولي هي مؤشرات غير سليمة أو غير كافية مثل الناتج الوطني الإجمالي (**GNP**) وغيرها من المؤشرات. إن قياس قوة الدولة في وقتنا المعاصر بشكل دقيق لابد أن يركز على عنصرين هامين حيث أن قوة أية دولة اليوم هو نتيجة تفاعل بين عنصرين هما:

- (١) قدرة الدولة في السيطرة على عملية الابتكارات والاختراعات الاقتصادية في وقت معين.
- (٢) ومن ثم الاستفادة من هذه السيطرة الاقتصادية في تطوير وبناء جيش قوي وفعال لحماية الدولة وتعزيز سيطرتها الاقتصادية على المستوى الدولي مع السعي لبناء نظام سياسي مستقر يعزز المصالح الإستراتيجية للدولة. والنموذج الأشمل لقياس قوة الدولة يحتوي على ثلاثة متغيرات كبرى هي:

(١) المصادر الوطنية (**National Resources**): التكنولوجيا، الاختراعات والابتكارات، الموارد البشرية، رأس المال، المصادر الطبيعية.

(٢) الأداء الوطني (National Performance): القيود الخارجية، البنية التحتية السياسية والاجتماعية، القيم والعقلانية.

(٣) القدرة العسكرية (Military Capability): المصادر الإستراتيجية العسكرية مثل عدد أفراد الجيش وميزانية الدفاع وغيرها، القدرة التحويلية للمصادر المادية السابقة مثل تحديد التهديدات ووضع الاستراتيجيات وبناء العقيدة العسكرية للجيش والاختراع وغيرها، وأخيرا فاعلية وكفاءة الجيش في خوض الحرب (انظر الشكل: ٣).<sup>٩١</sup>



الشكل (3): النموذج المقترح للقدرة الوطنية

إن معظم نظريات العلاقات الدولية الغربية فشلت في إيجاد نظرية شاملة تفسر سلوك الدولة تجاه الدول الأخرى، وما ذلك إلا لأن هذه النظريات ركزت على بنية النظام الدولي الفوضوية وأهملت الوحدة (الدولة)، وهناك نظريات أخرى ركزت على الجزء (الدولة) وأهملت البنية التي تعيش فيها الدولة. إن النظرية الشاملة للعلاقات الدولية ينبغي أن تقوم على نظرية للمجتمع (theory of society) أي نظرية لا تهمل تاريخ الدولة وثقافتها وسياساتها المحلية والقوى الداخلية بحيث تبين وتفسر هذه النظرية الدستور أو القوانين الأساسية التي تشكل وتكون المجتمع في هذه الدولة أو تلك بما فيها النخبة التي تحكم الدولة. إن المجتمع يحتوي على العديد من المفاهيم المتعلقة بمجموعة من الناس تعيش مع بعضها البعض. ثم إن أية مجتمع لا بد أن يقوم على تراتبية (order) معينة تحدد السلوك المناسب للأفراد داخل هذا المجتمع، وهذا الترتيب يقوم على مجموعة من القيم والقوانين والتي لا يتحقق النظام والترتيب بدون إتباعها من قبل الأفراد الذين يشكلون المجتمع. ومن نتائج هذه التراتبية في المجتمع تفاوت منزلة الناس والمجموعات والمؤسسات داخل المجتمع. كما أنه لا بد لاستمرار نظام وترتيب معين أن يمثل أغلب الأفراد لهذا النظام بشكل طوعي. وهناك أربعة دوافع أساسية تدفع بالفرد داخل النظام للامتثال الطوعي لقوانين وقيم هذا النظام أو الترتيب الاجتماعي هي: (١) الخوف، (٢) المصلحة، (٣) الشرف، (٤) العادة. وهذه الدوافع تستند إلى ثلاثة بواعث رئيسية لدى كل البشر وهي: (١) باعث الغريزة

والشهوة، (٢) باعث الروح، (٣) باعث السبب أو السببية.<sup>٩٢</sup>

في خطاب توليه الرئاسة عام ٢٠٠٩ أكد الرئيس الأمريكي باراك أوباما على أن القوة الأمريكية سوف تزداد عندما نستخدم الحكمة والقيم التي نحملها مثل العدالة والحرية والتواضع في تعاملنا مع الدول الأخرى. كما أشار وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس إلى حاجة أمريكا الماسة إلى القوة الناعمة وأن القوة العسكرية الأمريكية بميزانياتها التي تتجاوز نصف تريليون دولار لا تستطيع تحقيق المصالح الأمريكية حول العالم. ويشير جوزيف ناي إلى أهمية القوة الذكية (smart power) والتي تجمع بين القوة الصلبة والقوة الناعمة وتوظيفها من خلال إستراتيجية محددة تخدم المصالح الأمريكية. ومع أن مصطلح القوة يستخدم بكثرة إلا أنه يظل غامضاً ومن الصعب قياسه، ولكن هذا لا يعني أنه لا يحمل معنى ودلالات واضحة ولا يعني كذلك أن نتخلى عن هذا المفهوم الهام. فعلى سبيل المثال، لا ينكر أحدنا أهمية الحب وماذا يعنيه الحب، ولكن هل نستطيع قياس الحب وهل نستطيع أن نتخلى عن مفهوم الحب؟ ومع هذا فإن المتخصصين لم يتوقفوا عن محاولة قياس قوة الدولة بناء على بعض المؤشرات فقد كان رأي كلاين (Ray Cline) وهو أحد كبار الموظفين في وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA أثناء الحرب الباردة متخصصاً في قياس قوة الاتحاد السوفييتي مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد اعتمد رأي كلاين على المعادلة التالية في قياس قوة الدولة:

القوة المتصورة = (عدد السكان + المساحة الجغرافية + الاقتصاد + الجيش) × (الإستراتيجية + الإرادة)

ولكن هذه المعادلة فشلت في قياس قوة الاتحاد السوفييتي. ويرى جوزيف ناي أنه يمكن تعريف القوة بأنها القدرة على فعل أشياء داخل المجتمع تؤثر على الآخرين وتمكنك أن تحصل على ما تريد.<sup>٩٣</sup> وفي سياق القوة الأمريكية، يرى جون ميرشايمر أن قوة الولايات المتحدة الأمريكية في تراجع واحد الأسباب في ذلك هو تراجع كفاءة القيادة الأمريكية وخاصة في العقد الأخير وبالذات في سياساتها الخارجية تجاه العديد من الدول.<sup>٩٤</sup> وهذا يدل على أهمية القيادة في صناعة قوة الدولة كما جاء في النموذج النظري النبوي.

في طرح رائع يحتم علينا نحن المسلمون أن نبحث في ديننا وحضارتنا وتاريخنا الإسلامي عن الأسباب التي تنتشل بها شعوبنا ودولنا من الضعف إلى القوة ومن التأخر إلى التقدم، يرى أوسفالدو دي ريفيرو أنه ومع بداية القرن الحادي والعشرين وبعد ما يقارب الستين



سنة من نظريات التنمية والسياسات التنموية والتطويرية للدول النامية تظل ١٥٦ دولة في عداد الدول النامية ولم يتقدم من هذه الدول سوى أربع دول صغيرة للغاية بل بعضها يمثل مدينة وهي: سنغافورة، وهونغ كونغ، وكوريا الجنوبية، وتايوان. ويمثل عدد سكان هذه الدول الأربع أقل من ٢٪ من عدد سكان الدول النامية على مستوى العالم. وبالتالي فإن التنمية والتطوير المزعوم ليس إلا أسطورة تسوق لكي تخفي تعاسة وحرمان الدول النامية وتخفف وتلطف من معاناة وتأييب الضمير للدول المتقدمة. إن الحضارة المعاصرة تعمل كما تعمل الخلية السرطانية حيث تدمر الكائن الحي الذي تعيش عليه. إن الأزمة التي نعيشها اليوم هي أزمة أخلاقية قيمية تستند على أيديولوجية مدمرة وهي أيديولوجية التقدم المادي بأية تكلفة ( **ideology of material progress** ) **(at any price)**.<sup>٩٥</sup>

إن وهم الجمهورية والديمقراطية المبنية على مبدأ الدولة-الشعب، والتي سوف يتحقق من خلالها رفاهية الناس وسعادتهم هي في الأساس نتاج الثورة الأمريكية في ١٧٧٦ والثورة الفرنسية في ١٧٨٩. ثم إن فكرة إعادة بناء النموذج الغربي الأوروبي في الدول النامية ليست فقط فكرة خاطئة بل تشكل تهديدا للاستقرار الإقليمي والعالمي. لذلك فإنه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وفشل تطبيق النموذج الاشتراكي الشيوعي في العديد من الدول النامية، اتجهت معظم النخب الحاكمة في الدول النامية لتطبيق النظام الرأسمالي الليبرالي الجديد والذي كان من نتائجه في هذه الدول ارتفاع معدل البطالة بشكل خطير، وكذلك ازدياد الإقصاء والحرمان الاجتماعي داخل هذه الدول. وهذه النتائج السلبية لليبرالية الجديدة أفرزت حركات ومجموعات متطرفة ومتنوعة في كثير من دول العالم، بل إن بعضها قد يتطور إلى ثقافة عنيفة رافضة للحدثة والتطوير. إن الموديل الأمريكي البارز والمسوق عن طريق نموذج التحديث والتنمية في ولاية كاليفورنيا يعاني من أزمة عدم التوازن بين الطبيعة والاجتماع البشري الحضري (**physical-social imbalance**)، لذا أخفقت هذه الولاية في تحقيق الرفاهية والسعادة للملايين من سكانها وتعاني من عجز في الميزانية يقدر بـ ٦٢ بليون دولار، وهكذا حال كثير من المدن في الدول المتقدمة والنامية والتي اتبعت النموذج الأمريكي-الكاليفوريني.<sup>٩٦</sup>

## ثامناً: الخاتمة:

إن الدولة الإسلامية والعربية ومنذ سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى حاولت جاهدة وعلى يد كثير من أبنائها أن تنهض من كبوتها وأن تنافس الدول الغربية في ميادين العلم والثقافة والتصنيع والسياسة والقانون وغيرها من المجالات التي تميزت فيها الحضارة الغربية المعاصرة إلا أن الحصاد كان مرأ ومؤلماً للنخبة والأمة. وقد جربت هذه النخب في حكمها للمجتمعات الإسلامية والعربية تطبيق مناهج عدة كان أبرزها الاشتراكية، والليبرالية الغربية ظناً منها بأن الحل الكافي والدواء الشافي لعلل التأخر والتراجع في السلم الحضاري هو إتباع الغالب عليه أن يأتي يوم نكون فيه غالبين لا مغلوبين. إلا أن هذا اليوم لم يأتي، فقد سقط الاتحاد السوفييتي وتهافت معه الأيدلوجية الاشتراكية كحل لأزمة المجتمعات الإسلامية والعربية وأصبح البديل الأوحـد المتفرد هو الليبرالية الغربية والمسيطرة على مستوى النظام الدولي وعلى مستوى النخب في بعض البلدان الإسلامية والعربية. فهل نحن كمسلمين وعرب نحتاج أن نجرب التجربة الليبرالية الغربية كما هي في الدول الأوروبية وفي أمريكا الشمالية لمدة عقود أخرى من الزمان علنا أن ننهض بمجتمعاتنا أم أننا في حاجة لكي نبدع ونبتكر ونستفيد من التجربة الغربية بما لا يتناقض مع ديننا وقيمنا؟ ترى هذه الدراسة أن بإمكان الدول العربية والإسلامية أن تنهض وأن تصبح قوية في الداخل والخارج ولكن استناداً إلى تجربة العهد النبوي وليس إلى تجربة التاريخ الأوروبي. وقد قدمت هذه الدراسة المتغيرات الأساسية التي ينبغي مراعاتها وملاحظتها في بنية الدولة الإسلامية المعاصرة استناداً إلى تجربة العهد النبوي؛ واعتقد أن التركيز على هذه المتغيرات الأساسية والوسيلة سوف يقود هذه الدول إلى النهوض والتقدم في ركب الحضارة الإنسانية. ثم إن هذا لا يعني أن لا نستفيد من التجربة الغربية والتقدم الحضاري الكبير الذي حققته في العديد من المجالات ولكن علينا أن نغربل ونفلتر ما نأخذه بناء على ديننا وقيمنا وثقافتنا وتاريخنا. ثم إنه من الظلم أن يأتينا بعض المفكرين ممن عاشوا في الغرب وتأثروا بالحضارة الغربية ويريدون أن يستنسخوا التجربة الغربية في مجتمعاتنا قسراً ظناً منهم أن هذا هو الطريق الأوحـد إلى النهوض والتقدم، متجاهلين بذلك قيم وتاريخ وثقافة هذه الأمة والتي كانت يوماً من الأيام متخلفة بكافة المقاييس وعندما جاء الإسلام أصبحت دولة تسود العالم قيما وحضارة وقوة. ثم إن هؤلاء المفكرين المسلوبين للتجربة الغربية لا يذكرون أن نخبا وجماعات عربية أصبحت مناهضة لليبرالية الغربية لما جلبته من تعاسة معنوية ونفسية للفرد والمجتمع الغربي.

وبشكل سليم ترى منى أبو الفضل:

أن علوم الإنماء الحضاري والعمراني التي يؤصل لها في نظريات التنمية والتحديث وفي أروقة الفكر الاجتماعي المعاصر ومحافل البحث العملي الحديث: هي علوم نشأت وتبلورت على أيدي حفنة من العلماء والمفكرين الذين نضجوا في حيز تاريخي محدد ما بين غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وهي إذ تصنع وتتداول في هذا الوسط النخبوي تتجاوز آثارها هذا الوسط تماماً، كما يتجاوز مداها عالم الأفكار لتصب في عالم الأحداث والأفعال ولتنتقل عبر التأثير في المدركات نحو إعادة تشكيل مجريات الواقع أو دفعه نحو اتجاهات دون أخرى وفقاً لصياغة المصالح والمواقف والتدافع.<sup>٩٧</sup>

إن الأمة القوية تحاول أن تفرض لغتها وتاريخها على الأمم الضعيفة أو التي أخضعها بالسيف، ولقد طغت الدول الأوروبية على البلدان الإسلامية خلال القرون الماضية، وفرضت تاريخها عليها، وحاولت فرض لغتها أيضاً، إلا أن وجود القرآن الكريم قد حال دون ذلك بالنسبة إلى اللغة، أما التاريخ فقد بقي يدرس حتى بعد زوال الاستعمار في البلدان الإسلامية، بل ويعلم في أكثر بلدان العالم، يدرس تاريخاً أوروبياً خالصاً، وحتى التاريخ المحلي، فإنه يعطى من وجهة نظر أوروبا...<sup>٩٨</sup> واعتقد أن هذا الطرح دقيق وسليم للغاية حيث أن معظم الدراسات والنظريات الغربية في علم السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها من المجالات مبنية في مجملها على التاريخ الأوروبي والغربي وخاصة ما قبل الحرب العالمية الأولى وما بعدها، وهناك تجاهل واضح للتجربة والحضارة الإسلامية حتى داخل الحقل الأكاديمي العربي والإسلامي مع الإمكانات الضخمة والواعدة للخروج بنظريات أكثر عمقاً وثراء من النظريات الغربية.

لقد كانت الحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية في وقت ضعف أوروبا ومرضاها في التاريخ الوسيط (منذ ٤٧٦م إلى فتح القسطنطينية في ١٤٥٣م) منارة للقيم والعلم، وكان اهتمام الحضارة الإسلامية منصّباً على الإنسان وحده لا على المباني والقصور وإجبار الناس على العمل فيما يخدم الحكام والقوي. وكان الاهتمام بالعقيدة الإسلامية وقيمها ونشرها بين الناس هو الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية. ومن أمثلة اهتمام الدولة والحضارة الإسلامية بالإنسان وسعادته ما كان يعرف بـ (الخانات) وهي أماكن راحة على الطرق العامة حيث أن الإنسان إذا سافر مسافة أربعين كيلو متراً تقريباً وجد هذه المضافة والتي يستطيع فيها تغيير ملابسه فيها والأكل والشرب والنوم لمدة ثلاثة أيام بدون مقابل. ولقد تعدى اهتمام الدولة والحضارة الإسلامية الإنسان إلى الحيوان حيث كان يوجد في الدولة الإسلامية ما يعرف بـ (مرج الحشيش) وهو مكان

واسع ملئ بالأعشاب ومحاط بأسوار وفيه حظائر للبهائم العاجزة والكبيرة في السن حيث يكون هناك من يرعاها ويهتم بها حتى تموت.<sup>٩٩</sup>

وقد يكون الأجدد بنا على مستوى النخب العربية والإسلامية في هذه المرحلة التاريخية الهامة لشعوبنا أن ندرس بعمق التجربة الآسيوية وخاصة اليابانية والصينية والكورية والماليزية. وفي هذا السياق يشير ضاهر إلى أن التجربة اليابانية في التحديث والنهضة والصعود إلى مصاف الدول العظمى كان نتيجة متغيرات متعددة إلا أن أهم هذه المتغيرات في التجربة اليابانية هو الاعتراف بأهمية الاستفادة من التجربة الغربية وتأثيرها على الدولة اليابانية المعاصرة ولكن مع الاحتفاظ بالثقافة والقيم اليابانية واستخدامها في صياغة تجربة تحديثية تتوافق مع تاريخ وقيم المجتمع الياباني بحيث لا تصبح اليابان مستلبة للتجربة الغربية.<sup>١٠٠</sup> ويؤكد الباحثون اليابانيون على أن:

اقتباس مقولات من الخارج لا يمكن أن يعطي ثماراً إيجابية في التحديث السليم ما لم تكن البنى الداخلية، وبشكل خاص الإنسان الحر والمبدع، مستعدة لتقبل تلك المقولات والتفاعل الإيجابي معها، وتوطينها وتطويرها... فالإنسان المثقف، والمدرّب على أحدث العلوم العصرية والتكنولوجيا المتطورة، والمتشبث بكل ما هو إيجابي في تاريخه وتراثه وحضارته هو القادر على تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية. أما الموارد الطبيعية، مهما كانت غنية ومتنوعة، فتساعد في تسريع عملية التحديث لكنها تبقى عاجزة بمفردها عن إنجاز تنمية شمولية مستدامة.<sup>١٠١</sup>

وهذا الطرح يتفق إلى حد كبير مع النموذج النظري المبني على دراسة العهد النبوي في بناء قوة الدولة الإسلامية من حيث التركيز على أهمية القيم -المنهج- وأهمية الإنسان -القيادة والجماعة- كمتغيرات أساسية في إحداث تطور وتقدم الدولة الإسلامية في العهد النبوي وما تلاه. وأرى أن النموذج النظري الذي قدمناه في هذه الدراسة هو أكثر دقة ووضوحاً في تحديد المتغيرات التي نهضت وبالإمكان أن تنهض بالدولة الإسلامية والعربية بناء على تجربة نبوية بشرية مسددة وموجهة من الخالق وليس من الخلق. ثم إن العديد من الدراسات العربية بما فيها دراسة ضاهر تفنّدت إلى الدقة والتحديد في طرح المتغيرات التي ينبغي التركيز عليها ومتابعتها وقياسها من أجل النهوض بالمجتمعات العربية والإسلامية. فعلى سبيل المثال، يقول ضاهر: "فالحادثة إذاً نتاج نضج في البنى الداخلية أولاً"<sup>١٠٢</sup>، ما المقصود بالبنى الداخلية؟ ما هي المتغيرات الأساسية التي تكون هذه البنية الداخلية؟ وهذا الطرح العام والغامض في كثير من الأحيان ينسحب على كثير من

الدراسات في هذا المجال.

إنني أمل أن يتبع هذه الدراسة دراسات أخرى تطبق هذا النموذج النظري على مراحل تاريخية ومعاصرة للدولة الإسلامية والعربية لكي نرى مدى صحة هذا النموذج من عدمه، وهل يمكن الإضافة أو التعديل لهذا النموذج النظري بناء على الحالات الجديدة. كذلك هل يستطيع هذا النموذج النظري أن يفسر لنا أسباب قوة الدولة الإسلامية في مرحلة تاريخية معينة وضعفها في مراحل أخرى.

## ■ الهوامش والمصادر:

- ١ إسماعيل علي سعد، نظرية القوة: مبحث في علم الاجتماع السياسي، (ب.ن.، ب.ت)، ص.ك-ت.
- ٢ 'حسين عبدالحميد رشوان، في القوة والسلطة والنفوذ: دراسة في علم الاجتماع السياسي، (الاسكندرية: مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٦)، ص. ٥.
- ٣ اسماعيل سعد، ص. ث، ٦.
- ٤ علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية: دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة، (الأردن: دار المتنبى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ص. ٧.
- ٥ المصدر نفسه، ص. ٨.
- ٦ نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٩٩٤)، ص. ٣٩-٤٠.
- ٧ أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، طه (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٣)، ص. ١٣.
- ٨ المصدر نفسه، ص. ١٤.
- ٩ محمد روااس قلعه جي، قراءة سياسية للسيرة النبوية، ط٢ (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٠)، ص. ٥.
- ١٠ منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط٣ (الأردن: مكتبة المنار، ١٩٩٠)، ص. ٧-١٣.؛ عماد الدين خليل، دراسة في السيرة النبوية، ط١٢ (بيروت: دار النفائس، ١٩٩١)، ص. ٦.
- ١١ الغضبان، ص. ١٤.
- ١٢ عمر جمال النشيواتي، "تطبيقات قرآنية لقاعدة: الجمع بين السنة الشرعية والسنة الكونية"، [www.tafsir.net/vb/tafsir22793](http://www.tafsir.net/vb/tafsir22793)، (السبت ١٥-١-١٤٣٣هـ).
- ١٣ محمد الغزالي، فقه السيرة (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ت)، ص. ٤٩-٥٠.
- ١٤ نصر عارف، ص. ١١-١٢.

15 Antonio Diaz Andrade, "Interpretive Research Aiming at Theory Building: Adopting and Adapting the Case Study Design," *The Qualitative Report* 14, no. 1 (2009): 42- 46.

16 Alexander George and Andrew Bennett, *Case Studies and Theory Development in the Social Sciences* (Cambridge: MIT Press, 2005), p.8-9.

17Ibid. p.x-xi, p.5-8.

١٨ بعض من القراءات في هذا الجانب سوف يرد ذكرها في القسم اللاحق المتعلق ببناء النظرية في العلوم الاجتماعية مع أن هناك العديد من القراءات الأخرى انظر على سبيل المثال:

Donald Green and Ian Shapiro, *Pathologies of Rational Choice Theory: A Critique of Applications in Political Science* (New York: Yale University, 1994); Steve Yeltiv, *Explaining Foreign Policy: U.S. Decision-Making and the Persian Gulf War* (Baltimore: The Johns Hopkins University, 2004); Ali Algahtani, "Deprivation of

the Masses and Religious Guerrilla War in Algeria: (1962-1992)" (master's thesis, University of Idaho, 2004).

19 Ted Robert Gurr, *Why Men Rebel* (New Jersey: Princeton University, 1971), p.1-14, p.320; Randall L. Schweller, "Unanswered Threats: "A Neoclassical Realist Theory of Underbalancing", *International Security* 29 no. 2 (2004): 159-201.

20 William James qouted in Paul R. Carlile and Clayton Christensen, "The Cycles of Theory Building in Management Research," 2005, <www.innosight.com/document/theory%building> (30 May 2011), p.1.

21 Ibid. p.1.

22 Robert Dubin, *Theory Building* (New York: The Free Press, 1969), p.1-19.

23 Ibid, p.26-95.

24 Kenneth Hoover and Todd Donovan, *The Elements of Social Scientific Thinking* (New York: Bedford / St.Martin's, 2001), p.17-40.

٢٥ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط٣ (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤)، ص.٢٢٩.

٢٦ محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٩)، ص.٤٩١.

٢٧ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٨٨)، ص.٥٨٧.

٢٨ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦)، تحقيق: عبدالله التركي.

٢٩ المصدر نفسه، مج(١٠)، ص.٥٥-٥٦.

٣٠ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (بيروت: دار المعرفة، ب.ت)، ص.٦٢.

٣١ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دار الفكر: دمشق، ١٩٩١)، ص.٤٩-٥٠.

٣٢ جمال زهران، منهج قياس قوة الدول واحتمالات تطور الصراع العربي - الإسرائيلي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦)، ص.٣٥-٤٢.

٣٣ المصدر نفسه، ص.٤٣-٤٧.

٣٤ المصدر نفسه، ص.٤٧-٧٠.

٣٥ نوار هاشم، "قياس قوة الدولة: إطار تحليلي لقياس قوة الصين، مقارنة بدول كبرى"، المجلة العربية للعلوم السياسية ٢٥ (٢٠١٠): ٧٦-١٠٨.

٣٦ مهدي رزق الله احمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: دراسة توثيقية تحليلية (الرياض: دار امام الدعوة، ١٤٢٤هـ)، ص.٤٥.

٣٧ اسماعيل ابن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبدالرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥)، ص.٢٥٣، ص.٢٤٩-٢٥٤؛ الصلابي، ص.٢٣.

٣٨ مهدي رزق الله أحمد، ص.٤٥-٤٦؛ الصلابي، ص.١٥-٢٤.

٣٩ المصدر نفسه، ص.٤٦-٤٧.

- ٤٠ المصدر نفسه، ص. ٤٧-٤٨.
- ٤١ المصدر نفسه، ص. ٥٠.
- ٤٢ الصلابي، ص. ٢٧-٣١؛ مهدي رزق الله أحمد، ص. ٥١-٦٤.
- ٤٣ الصلابي، ص. ١١٢-١٢٧.
- ٤٤ المصدر نفسه، ص. ١٥١-١٩٣.
- ٤٥ عماد الدين خليل، دراسة في السيرة النبوية، ط ١٢ (بيروت: دار النفائس، ١٩٩١)، ص. ٨٨، ص. ١٠٦.
- ٤٦ مهدي رزق الله أحمد، ص. ١٣٣-١٣٤، ص. ٢٤٠-٢٤١، ص. ٢٦٧؛ اسماعيل ابن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الحميد هندواي (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٠هـ)، مج (٢): ٢٦٠-٢٦١.
- 47 Francis Fukuyama, The Origins of Political Order: From Prehuman Times to the French Revolution (London: Profile Books, 2011), pp.192-196.
- ٤٨ موفق سالم نوري، فقه السيرة النبوية: قراءة سياسية دعوية حركية، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٧هـ)، ص. ١٧٧-١٧٩.
- ٤٩ محي الدين أبي بكر زكريا يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، تعليق: عبدالعظيم بدوي، تحقيق: يحيى سوس، ط ١ (القاهرة: دار ابن رجب، ١٤٢٩هـ)، مج (٦): ص. ٤٤٤-٤٤٦، كتاب الإمارة، حديث: ١٨٥٤.
- ٥٠ زيد بن عبدالكريم الزيد، فقه السيرة، (الرياض: دار التدمرية، ١٤٢٤هـ)، ص. ٤٤٩-٤٥٠.
- ٥١ موفق نوري، ص. ٩٨-٩٩؛ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل شحبا (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ)، ص. ٦٦-٧٢.
- ٥٢ علي معطي، التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية (بيروت: مؤسسة المعارف، ١٩٩٨)، نقله معطي ص. ١٦٥.
- ٥٣ المصدر نفسه، ص. ١٦٣-١٦٥.
- ٥٤ محمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، (دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ)، ص. ٢٩-٣٥، ص. ٦١-٦٣.
- ٥٥ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: محمد البلتاجي (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ)، مج (٤): ص. ٨٥-٨٦.
- ٥٦ مهدي رزق الله أحمد، ص. ٢٧٦-٢٧٩.
- ٥٧ الصلابي، نقله عن سيد قطب ص. ٢٩٠.
- ٥٨ المصدر نفسه، ص. ٢٩١، ص. ٣٨٨-٣٨٩.
- ٥٩ عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام (الكويت: دار البحوث العلمية، ب.ت)، ص. ١٢٤.
- ٦٠ محمد قلعه جي، ص. ٧١، ص. ٨٤-٨٨.
- ٦١ أكرم ضياء العمري، ص. ٢٧٣-٢٩٨.
- ٦٢ الصلابي، ص. ٤٩١-٤٩٢؛ مهدي رزق الله أحمد، ص. ٢٨١-٢٩١.



- ٦٣ زيد بن عبدالكريم الزيد، فقه السيره، ( الرياض: دار التدمرية، ١٤٢٤هـ)، ص.٦٦-٧٢.
- ٦٤ محمد العبد، الطريق إلى المدينة: دروس من السيرة النبوية (ميشجان: المجموعة الإعلامية الدولية، ب.ت)، نقله في ص.١٣٧.
- ٦٥ المصدر نفسه، ص.١٤١.
- ٦٦ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢١هـ)، مج(٩): ص.٢٤٠-٢٤٣.
- ٦٧ محمد المختار الشنقيطي. "السنة السياسية في الشورى والمشاورة"، *الفقه السياسي*، (19-2-2003) <[www.fiqhsyasi.com/sunna.htm](http://www.fiqhsyasi.com/sunna.htm)>، ص.١-١١.
- ٦٨ الصلابي، ص.٥٢٦-٥٢٧، ص.٥٥٣.
- ٦٩ علي معطي، ص.٢١٩-٢٢٠.
- ٧٠ المصدر نفسه، ص.٢٢٤.
- ٧١ المصدر نفسه، ص.٢٣١-٢٣٣.
- ٧٢ محمد قلعة جي، ص.١٢١.
- ٧٣ ابن قيم الجوزية، مج(٤): ص.٢٠٤-٢١٦.
- ٧٤ عماد الدين خليل، ص.٢٠٤-٢١٧، ٢٩٤-٣٠٦.
- ٧٥ أبو الحسن علي الحسني الندوي، السيرة النبوية، (جدة: دار الشروق، ١٩٨٩)، ص.٢٣٤، ص.٢٤٧-٢٥٧.
- ٧٦ ابن قيم الجوزية، مج(٤): ص.٢٦٤.
- ٧٧ المصدر نفسه، مج(٤): ص.٢٦٦.
- ٧٨ محمد بن يوسف الصالحي الشامي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود و علي معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ)، ص.٣١٠-٣٤١؛ وفي سياق غزوة احد وغزوة حنين انظر: الغزالي، ص.٢٨٠-٢٨٦، ص.٤٢٥-٤٣٠.
- ٧٩ الصلابي، ص.٥٦٨.

80 Ruth Zimmerling, *Infuence and Power: Variations on a Messy Theme* (Dordrecht: Springer, 2005), p.15-33, p.94-95.

81 Steven Lukes, *Power: A Radical View* (New York: Palgrave Macmillan, 2005), p.1-9.

82 Ibid, p.15-29.

83 Stanley Barrett, Sean Stokholm, and Jeanette Bruke, "The Idea of Power and the Power of Ideas: A Review Essay," *American Anthropologist* 103, no.2 (2001): p.468-469, p.473-475.

84 Richard Ned Bebow, *A Cultural Theory of International Relations* (Cambridge: Cambridge University Press, 2008), p.551-558; see also in this context: Hans Morgenthau, *Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace* (New York: Alfred A. Knopf, [1948] 1985); Kenneth Waltz, *Theory of International*

Politics (Massachusetts: Addison-Wesley, 1979); John Mearsheimer, The Tragedy of Great Power Politics (New York: W. W. Norton, 2001), and there are many readings in this regard.

85 Michel Foucault, Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings 1972-1977, ed. Colin Gordon (New York: Pantheon Books, 1980), p.109-114, p.198-199.

86 Michael Mann, The Sources of Social Power: A history of power from the beginning to A.D. 1760 (Cambridge: Cambridge University Press, 1986), p.1-32.

87 Paul Kennedy, The Rise and Fall of the Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000 (New York: Random House, 1987), p.xv-xvi, p.9-13.

٨٨ فرانسيس فوكاياما، بناء الدولة: النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ترجمة: مجاب الإمام (الرياض: العبيكان، ٢٠٠٥)، ص. ٩٧-١.

89 Amartya Sen, Development as Freedom (New York: Anchor Books, 1999), p.xi-11.

90 Gregory Treverton and Seth Jones, Measuring National Power (Arlington: RAND Corporation, 2005), <www.rand.org>, p.ix-7.

91 Ashley Tellis and others, Measuring National Power in the Post-Industrial Age (Washington: Rand Publishing, 2000), p.1-33.

92 Richard Ned Bebow, A Cultural Theory of International Relations (Cambridge: Cambridge University Press, 2008), p.1-28.

93 Joseph Nye, Jr., The Future of Power (New York: Public Affairs, 2011), p.ix-xviii, p.3-24.

٩٤ جون ميرشايمر، مقابلة مع قناة الجزيرة في برنامج "من واشنطن"، المحاور: عبدالرحمن فقرا، مقابلة معاد الساعة ١:٢٠ مساء من يوم الخميس ١-١٢-٢٠١١.

95 Oswaldo De Rivero, The Myth of Development: Non-viable Economies and the Crisis of Civilization, trans. Claudia Encinas and Janet Encinas (New York: Palgrave Macmillan, 2010), p.1-3.

96 Ibid, p.6-27, p.121-124.

٩٧ نصر عارف، ص. ٢٨.

٩٨ محمود شاكر، مج (٢-١): ص. ٥.

٩٩ المصدر نفسه، مج (٢-١): ص. ٨-١٠.

١٠٠ مسعود ضاهر، النهضة اليابانية المعاصرة: الدروس المستفادة عربياً (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢)، ص. ٤٣-١٣.

١٠١ المصدر نفسه، ص. ١٤-١٦.

١٠٢ المصدر نفسه، ص. ١٥.